Tel : 3 72336 - 73864 Regd. No. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

APRIL — MAY — 1996

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

# أضواء

على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية
ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند

ودورها ونجاحها

في إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية والخرافية والدعوة
إلى الدين الحنيف الخالص والانتفاضة الإسلامية

يطلب الكتاب من :

**المجمع الإسلامي العلمي**

ص.ب: ١١٩ لكهنؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع في مطبعة باريك أوفست لكناؤ
من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الحادي والأربعون

العدد الخامس محرم-صفر ١٤١٧هـ - يونيو-يوليو ١٩٩٦م

## في هذا العدد

❖ قيمة الأمة الاسلامية بين الأمم ، و دورها فى العالم
❖ الغزو الفكرى فى حياة المسلمين
❖ الغيبة مرض خطير
❖ دور العلم فى دعم العقيدة و الايمان
❖ تجربتى فى الدعوة الاسلامية فى اليابان
❖ الاسلام دين الجهاد و المبادرة
❖ سياسة التجريم و العقاب فى الفقه الجنائى الاسلامى
❖ نظام الحكومة فى عهد النبى الكريم ﷺ
❖ أدوار حاسمة للمرأة المسلمة فى التاريخ
❖ الداعية الكبير و المفكر الاسلامى محمد الغزالى إلى رحمة الله الواسعة
❖ بعض أخطاء فاحشة فى سير أعلام النبلاء

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم


أنشاها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

# البعث الإسلامي

العدد الرابع - المجلد الحادي والأربعون

محرم - صفر ١٤١٧هـ

يونيو - يوليو ١٩٩٦م



رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي

واضح رشيد الندوي



المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

C/o NADWATUL ULAMA

P.O.Box. 93, LUCKNOW

Pin : 226 007 (INDIA)


## منهج ندوة العلماء

[تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص النقي من الشوائب . البعيد عن تحريف الغالين . وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين . وعلى العودة في تلقيه وفهمه وتفسيره . إلى منابعه الصافية الأولى . ومصادره الصحيحة الأصيلة . وفي العمل والسلوك . على التمسك بلباب الدين . والعمل بأحكامه والتحلي بحقيقته وروحه الربانية المشرقة الصافية . وفي تصورها للتاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام . والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة . وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى ] .

أبو الحسن علي الندوي

## الاشتراكات السنوية :

★ في الهند : مأة و خمسون (١٥٠) روبية :

ثمن النسخة (١٥) روبية :

★ في العالم العربي و في جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحي .

و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوي .

## عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك : باسم « البعث الاسلامي » ( ALBAAS-EL-ISLAMI ) و ذلك بالعنوان التالي :

مكتب البعث الاسلامي ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ ( الهنـــد )

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWATUL-ULAMA
P. O. Box: 93, Lucknow.
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

## حضرات أخواننا القراء !

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

وبعد فأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة والفكر و فى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تجتاز الآن عامها **الحادى و الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم وبروح من الاستقامة و الصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها ويسر بها القارىء الكريم ، ولا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن ، ويسمح لنا بزيادة قليلة فى قيمة الاشتراكات .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

# محتويات العدد


**الافتتاحية :**

دور العلم في دعم العقيدة والإيمان. ٣
سعيد الأعظمي الندوي

**التوجيه الإسلامي :**

قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ودورها في العالم. ٩
سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الغزو الفكري في حياة المسلمين
منافذ دخوله . و وسائل مقاومته. ١٨
الدكتور عمر يوسف حمزة

**الدعوة الإسلامية :**

الغيبة مرض خطير. ٢٤
الدكتور محمد بن سعد الشويعر

تجربتي في الدعوة الإسلامية
في اليابان. ٣٣
الدكتور صالح السامرائي

الإسلام دين الاجتهاد والمبادرة
إلى الأعمال الصالحة. ٤٢
الأستاذ يسري عبد الغني عبد الله

**الفقه الإسلامي :**

سياسة التجريم والعقاب
في الفقه الجنائي الإسلامي. ٤٧
الدكتور مصطفى عبد الرحيم آدم رشاش

**دراسات في التفسير :**

نظام الحكومة في عهد النبي الكريم. ٥٢
العلامة السيد سليمان الندوي

أدوار حاسمة للمرأة المسلمة
في التاريخ. ٦٤
الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي

**من أعلام الدعوة والفكر :**

الداعية الكبير والمفكر الإسلامي
محمد الغزالي إلى رحمة الله الواسعة. ٧٤
الدكتور محمد لقمان الندوي

**أخبار اجتماعية وثقافية :**

مسجد غيان والي
والحقائق التاريخية. ٨٨
الأستاذ محمد شاهجهان الندوي

جـــنّـــة [الشعر] ٩٢
الأستاذ حيدر الغدير

بعض أخطـــــاء فاحشة
في سير أعلام النبلاء. ٩٣
الدكتور السيد رضوان علي الندوي

**إلى رحمة الله تعالى :**

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع ٩٨
في ذمة الله تعالـــــى.
البروفيسور النجرامي
رئيس جديد لأكاديمية أردو الحكومية. ١٠٠
قلم التحرير


بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

## دور العلم في دعم العقيدة والإيمان

لقد كان الإسلام أول دين ركز على العلم وأدواته ، وجعله من أولى الأولويات التي يقوم عليها صرحه الشامخ الجميل ، فأشاد رسول الإسلام بالعلم ودعا إلى طلبه وتحمّل المشاق في سبيله ، ففي أول وحي أمر -ﷺ- بالقراءة التي ترفع منزلة الإنسان وتؤهله لقيادة مسيرة الحياة ، وأداء دوره في بناء المجتمع السليم ، ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ بهذه الصراحة الكبيرة بالقراءة ، والضغط الشديد على وسائل الكتابة تتبين مكانة الإسلام بين جميع الديانات السماوية ، والوضعية ، والفلسفات التعليمية ، والنظريات العلمية ، التي اعتمدت في إبداء اهتمامها بالعلم على النظرية العلمية فحسب ، ولم تتجاوز الفلسفات الفكرية إلى تطبيقها العملي على الحياة والمجتمع ، على عكس ما هو الشأن في الفلسفة العلمية التي يتبناها الإسلام ، ويطبقها على حياة اتباعه بصورة عملية بالتركيز على الأمر بالقراءة المقترنة باسم الرب الخالق العلام ، واستحضار تلك القدرة الخلاقة التي أوحت إلى الإنسان أن يتخذ القلم أداة للتعليم ، والتعلم لما لم يكن في حوزته ، ولا كان قد خطر على باله ما لهذه الميزة العلمية من دور عظيم في تحقيق الهدف المنشود من هذه الحياة التي يعيشها الإنسان في هذا الكون الواسع .

أما الفلسفات العقلية والأفكار الفلسفية التي ابتكرها زعماء الحضارات اليونانية والرومية ، فلم تكن ترمز إلا إلى العجز العقلي عن

إدراك حقيقة الحياة والسر الإلهي الذي أودعه الله سبحانه في هذا الكون ، فسرعان ما تحولت العقلانية إلى أصناف من الوثنية والرمزية ، ونحت الأصنام والآلهة من الخشب والحجر وصوغها من الطين و المدر ، و قد اتجهت قواهم البدنية والفكرية كلها نحو إخضاع الطاقات الإنسانية والعواطف النفسية أمام التوهمات الباطلة من العقل المجرد عن كل تصور للإله الواحد القهار : ﴿ هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا و ما نحن بمبعوثين ﴾ .

لم يكن هناك واقع أخسأ مما عاشه الناس في وثنيات لا يأتي عليها الحصر ، وكان ذلك باسم القلم والعقل والفلسفة ، فالعلم الذي خلقه الله سبحانه لإنقاذ الحياة البشرية من جاهليات العالم البشري وتلوّثات الفكر والعمل ، إنما وضع في قطع صلة الإنسان بالرب الأكرم وإنشاء معوقات فكرية تتولى إبعاده عن الواقع وتربطه بأرخص الأشياء وأتفه الأهداف ، أفلم يبلغ الإنسان في ابتكار الأشكال والألوان من الوثنية إلى ذروة من التهافت الحقير على العبودية والخنوع لأرذل الحيوانات وأخسّ الحشرات والديدان ، ففي الهند وحدها تفاقم عدد الآلهة والإلاهات وتجاوز الرقم القياسي فبلغ إلى ٣٣٣/مليون إلهًا ، ولما ضاق بالناس الذرع في ابتكار الأصنام والأوثان أقبلوا على اتخاذ آلات التناسل من الذكر والأنثى آلهة ، وخضعوا أمامها من غير حياء أو حشمة .

أي علم كان يساعد البشر في هذا المجال وغيره من مجالات الحياة ، حتى أغفل الهدف وعاش التناقضات والمعاكسات الطبيعية ، التي رضخت الإنسانية بالذل والهوان ، وجعلت الإنسان أضل من الأنعام ، لقد كان العلم قد انحرف به الطريق فسبب الفساد والدمار وأهلك الحرث والنسل ،





وشوه صورة الإنسان القائد ، الذي رضي بحمل الأمانة وتمثيل دور القيادة العالمية ، فإذا به يتنازل عن مقصده العظيم ويرضى بالتبعية الخاسئة والسير وراء الأصوات والأصداء ، ويتهيب من الأشكال الجوفاء ، ويفقد الشعور بالكرامة التي خلعها الله عليه يوم كرّمه بازاء الخلق كله وفضله على كثير ممن خلقهم تفضيلاً : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾.

ذلك هو العلم المبتور عن واقع الحياة ونور الإيمان الذي تبناه الغرب واستخدمه في تدمير المجتمعات البشرية بأحدث ما تنتج مصانعه الحربية من أسلحة فتاكة وآلات نسف وقصف تقضي على سكان القرى والبلدان بأسرها وتستأصل جذور الأمم والشعوب بذاتها التي تكون أثرًا بعد عين ، وتتحول إلى رماد للأجسام البشرية لا يرثى لها قلب ولا تدمع لها عين ، الواقع الذي يعيشه عالمنا الحديث في مختلف أجزائه وشعوبه ، ولا يزال يستشري الوضع في البلدان والدول التي هي عالة على الغرب في كثير من شئونها العلمية والاجتماعية ، فهو يفرض عليها إرادته من غير هوادة ولا رحمة ، ويكبله بأغلال من الشهوات والمطامع ، ثم يتظاهر بأن ذلك ليس إلا حرصه الشديد على تزويدها بالعلم والتقنية وفنون من الثقافة والمعرفة ، ولا أدل على نوايا الغرب الشريرة من الاعلام الغربي الذي يفرض وجوده على العالم الإسلامي ومجتمعات المسلمين ، ويوجه إليها سوءات وهنات ورذائل خلقية باسم العلم والفن والثقافة ، حتى أصبح من العسير جدًا التخلص من برامجه الهدامة ومسلسلاته الجنسية وأفلامه المتعرية ، التي يبثها بواسطة أقوى الأجهزة الاعلامية التي تغزو

مخادع البيوت ومداخل النفوس .

إننا لا ننكر وجود العلم في عصور خالية وبيئات إنسانية كثيرة ، إلا أن التوجيه العلمي الصحيح لم يتيسر لها فعاد العلم وبالاً لها ، وسد عليها الطريق نحو سعادة الحياة وبناء المستقبل الجميل ، كما هو الواقع في الحضارة اليونانية التي كانت غنية بالعلم والأدب والفلسفة الحضارية ، ولكنها عاشت في حرمان عن تفجير طاقة العلم والأدب في صالح الحياة والمجتمع وبناء المستقبل اللامع والسعادة الحقة ، ذاك أنها ركزت كل قواها على المحسوس المادي ، وعلى الاستغناء عن القيم الدينية والاهتمام الكبير باللذات والمنافع المادية ، والانصراف الزائد إلى اللهو والهزل وتقديس العرق والدم والوطن ، فأنتج كل ذلك ما أنتج من فساد وشره وتهافت على حطام الدنيا ، وأورث أهلها بعقلانية مجردة خشيبة ساقتهم إلى عبادة النفس والهوى ، ونفي الصفات عن الله تعالى ، والاعتماد الكامل في الخلق والأمر على العقل الأول الفعال .

ولقد صور كتاب الله تعالى ذلك العالم الذي أكرمه بالعلم وألهمه آياته وآتاها إياه ، ولكنه لم يقدر هذه النعمة الجليلة التي تفرد بها فانسلخ منها ، وأساء استعمال ذلك العلم الموهوب من ربه واتخذه ذريعة للضلال والفساد ، وغمط الحقوق ، وهدم الفضائل والأخلاق ، ونشر الرذائل والأعمال المنكرة في المجتمعات الإنسانية فأخذه الله بالعقاب ، والنقمة ، ذاك أن يخلد إلى الأرض ويتبع هواه ، فكان مثله كمثل الكلب ، يقول الله سبحانه : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان • فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها • ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه • فمثله كمثل الكلب • إن تحمل عليه يلهث أو تتركه





يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا • فاقصص القصص لعلهم يتفكرون • ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [سورة الأعراف ، الآيتان : ١٧٦-١٧٧] .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هو (بلعم بن باعوراء) الذي كان عنده اسم الله الأعظم ، وقال ابن مسعود - رضي الله عنهما - : هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى - عليه السلام - إلى ملك « مدين » داعيًا إلى الله ، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ، ففعل وأضل الناس بذلك ، وهناك أقوال كثيرة عن الرجل ، من هو ؟ ومهما كان الرجل الذي أعطي العلم ، ولكن العلم هو الذي حجب عليه نور الإيمان ، وسلب منه التوفيق الإلهي الذي يساعده في ربط الإنسان بمنبع ذلك النور ، وتوفير أسباب السعادة والكرامة له في الدنيا ، و إيجاد الاتزان الصحيح في الحياة ، وبين المادة والروح ، والتوفيق بين الدنيا والآخرة ، فكان العلم سببًا للشقاء والفساد ، والضلال والانحراف وقطع الصلة الكريمة عن مصدر العز والقوة ، والإنسياق وراء الأهواء والشهوات .

ذلك هو مثل العلم المجرد الذي لا مدلول له في عالم الحقيقة ولا مفهوم له في لغة الدين والشريعة ، لا تتجاوز فاعليته هوى النفس وإغراءات الشيطان ، وإشباع الغرائز النفسية ، وبناء قصور البذخ والترف والنعيم على حساب الفقراء والضعفاء ، وتشييد معالم الحضارة المادية في الأرض لهدم العقيدة ونسخ الشريعة ، وإبطال القيم والفضائل الخلقية ، واحترام القوة المادية والجسدية ، بالانصراف عن مطالب الروح وتزكية الضمير ، وتطهير النفس عن شوائب الظلم والطمع والشهوات .

ولنا فيما يجرى اليوم من السباق الخطير بين أهل العلم المجرد

والرؤية المادية ، وأصحاب العلم بآيات الله وحملة لواء العقيدة والإيمان ، إن لنا فيه شهادة على أن العلم الذي هو منحة من الله تعالى لعباده ونعمة عظيمة عليهم ، لا تعادلها نعمة ، قد أسيئ استعماله ، وحُدّد نطاقه ، فلا يعمل إلا في العوامل السلبية والأعمال المبيدة للطاقات الإنسانية ، وذلك ما يعكس اليوم على المجموعات الدولية والمؤسسات العالمية التي لا تدخر وسعًا في توجيه إفرازاتها السلبية إلى مجتمعات المسلمين ، والعالم الإسلامي الذي يحمل راية الدعوة الإسلامية وبالتالي تنطلق منه الصحوة الإسلامية إلى جميع أنحاء العالم ، وتشق الطريق نحو السعادة الدائمة للتائهين في دياجير العلم المادي والحضارات الاستغلالية التي لا ترحم ولا تلين للإنسانية المعذّبة الشقية بأي حال .

إن وظيفة العلم هي تعريف عقيدة التوحيد وربط الحياة بها قبل كل شئ ، ونشر الخلائق الحميدة والمكارم الخلقية والقيم الإنسانية بين بني البشر وجمعهم على الهدى ، وبالتالي الكشف عن آيات الله في الخلق والأمر ، واختلاف الليل والنهار ، وإزاحة الستار عن الأسرار المودعة في الكون الواسع العريض ، والدعوة إلى التأمل فيها وتعيين الموقف الإيجابي من كل ذلك في ضوء العقيدة والإيمان بقدرة الله تعالى .

أما توظيف العلم لبيان فلسفة التشريع ، وعرض قواعد النظام الإسلامي في الفرد والمجتمع ، أو تنظير الإسلام ودعوته العامة أو المقارنة بين الشرائع السابقة و شريعة الإسلام فليس هـو الهدف الأصيل منه ، إنما هو التكوين العقيدي والإيماني أولاً الذي يتجلى في السلوك والعمل ويقوم عليه ثانيًا سرح الحياة بجميع فروعها ومناحيها وتفاصيلها وأوضاعها ، ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ٧

سعيد الأعظمي





# قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ،

## و دورها في العالم

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

ومن أمثلته ونماذجه الرائعة ، حديث دار بين رجل من عسكر المسلمين الفاتحين في إيران ، وقائد الجيوش الفارسية وأميرهم رستم :

طلب رستم من سعد - رضي الله عنه - أن يرسل إليه من يُكلمه ويعرف منه غاية الغزو ، وذلك قبل القادسية ، فأرسل سعد ربعيّ بن عامر - رضي الله عنه - رسولاً إلى رستم - قائد الجيوش الفارسية وأميرهم - (١) فدخل عليه وقد زين مجلسه بالنمارق المذهّبة والزرابي ، وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي - رضي الله عنه - بثياب صفيقة ، وسيف وترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض الوسائد ، وأقبل

---

(١) طلب رستم من قائد الجيش الإسلامي أن يرسل إليه رجلاً من المسلمين ليعرف ما الذي دفع عرب البادية إلى محاربة أقوى جيش وأرقى مملكة ، فإذا كان الدافع تحصيل ما يحتاجون إليه من مِيرة وكسوة وأسباب معيشة ، دَفَعَ إليهم ، وتفادى من الحرب نتائجها ، وقد بين رسول المسلمين أن الذي دفعهم إلى هذا الإقدام ، هي الرحمة بهم لا الرحمة بأنفسهم ، وإخراجهم من الضلال إلى الهداية ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام كما سيأتي .

وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته على رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا ، وإلا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها .

فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله .

قالوا : وما موعود الله ؟

قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي .

وهذا الحوار القصير - الذي جاء في تاريخ الغزو الإسلامي ، والدعوة الإسلامية ، وتاريخ المسلمين - بقي مطمورًا مغمورًا ، يمر به القارئ مرًا سريعًا ، لا يتأمل في قيمته الدعوية العميقة الجرينة ، وفي دوافعه الإيمانية القوية ، ومصدره ، وهو تغلغل الدعوة الإسلامية النبوية في أحشاء هذا العسكري المسلم الذي لا يعرف التاريخ إلا اسمه وأصله ، وهي بادية العرب .

إن الوضع في العالم الحديث ، وفي الغرب الذي يملك القيادة - الفكرية والمبدئية والحضارية والسياسية - لا يختلف عن العصر الذي





ظهرت فيه دعوة الإسلام ، وانتشرت فيه دعاته يحملون رسالة الإسلام إلى البلاد والمجتمعات ، والشعوب والحكومات .

كان مثالاً رائعًا من أمثلته ، ونموذجًا مثيرًا للاستغراب والدهشة ، ما حكيناه من حوار بين ربعي بن عامر - رضي الله عنه - ، أحد الأعراب القادمين من بادية العرب ، وبين رستم رئيس قادة الجيوش الإيرانية ، والذي كان يلي إمبراطور إيران في المكانة والهيبة والإجلال ، والبون بين الوضع السائد على الإمبراطوريتين - الساسانية والرومانية - وما كان تحتهما من مدن ومجتمعات ، ومقاييس ومستويات ، وأعراف وشائعات ، وبين الغرب الواصل إلى أوج المدنية ، العائش على قمتها ، المتمكن من توجيه العالم حضاريًا وثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا ، ومبدئيًا ، وفكريًا ، ليس بعيدًا وكبيرًا .

فالبون بين الوضعين السائدين على العالم الشرقي في القرن السادس المسيحي ، والعالم الغربي في القرن العشرين ، أقل من البون بين هاتين الرقعتين ، مساحة جغرافية ، ومساحة زمنية .

والجاهلية (١) - بمعانيها الواسعة - ضاربة أطنابها على الغرب المتحضر المثقف الراقي ، وفي أرقى الجاهليات التي سجلها التاريخ وعرفها المؤرخون ، لا يتحكم فيها إلا النفع المادي ، أو تسلية النفس ،

(١) الجاهلية هي الحياة أو المدنية التي تنشأ وتبقى بعيدة ومستغنية عن تعاليم النبوة والتوجيهات السماوية لنهج الحياة والتعايش من العقيدة إلى السلوك والأخلاق والاستحسان والاستهجان .

أو « الأبيقورية » (١) أو المنفعة السياسية أو الاقتصادية ، وتجعل الدين قضية شخصية محدودة في أمكنة خاصة - الكنائس - وأزمنه خاصة - وهي الأعياد الدينية - لا دخل لها في السلوك الفردي أو الجماعي ، أو السياسي أو الاقتصادي .

ويعيش الغرب في سجن أوسع من سجن الملوك القدماء ، وفي قفص أجمل وأزهى من قفص الأمراء المدللين ، أو الحكام المخدومين في القديم ، وهو سجن أو قفص الموضات (Fashions) والأعمال الرتيبة ، والأعراف والمستويات التي يتوقعها الجمهور ، ويطالب بها المجتمع والعصر من ملابس أو مساكن أو مظاهر .

وبذلك لا يختلف الغرب المتحضر المتحرر المتنور ، عن العصر الذي سبق الإسلام أو عاصره - في الإمبراطورتين العظيمتين - البيزنطية والساسانية - فكانت في العصر الجاهلي الأول عبادة آلهة ، ومعبودات قديمة موروثة ، أو مصنوعة منحوتة ، وفي الغرب عبادة النفس والشهوات ، والفائدة واللذة ، والمنافع السياسية والاقتصادية ، وكان اعتماد الملوك والأمراء والحكام والأغنياء - في القديم - على الخدم والحشم والعادات والتقاليد ، وأدوات الزينة والراحة ، وكانوا متقيدين بها وعائلين عليها ، كطائر مدلل أو سجين مكرم ، والرجل الغربي - مهما بلغ من الثراء والرخاء ، والحكم والقضاء ، مرتبط - أو مربوط - بموضات وتقاليد ، يفرضها المجتمع ، وأعراف ومستويات ، ويُحكَمُ بها

---

(١) مدرسة فلسفية إغريقية تحكم على الأشياء وتركها واختيارها على أساس اللذة التي تحصل من العمل بها أو تركها .





على ما بلغه الرجل الغربي من العز والشرف والرخاء والثراء ، فكان كل واحد منهما - الجاهلي القديم والعصري الحديث - في حاجة إلى أن يخرج من السجن إلى الفضاء ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

ولكن من الذي يمثل دور ربعي بن عامر - رضي الله عنه - في إطار فردي أو جماعي - ويواجه الغرب أو الغربي المالك لأزمة الأمور ، كرئيس الجمهورية ، أو رئيس الوزراء في عاصمة من عواصم الغرب ، أو مركز من مراكز القيادة السياسية والاقتصادية ، فيواجهه كما واجه ربعي بن عامر قائد قوّاد الفرس رستم الذي كان ينوب عن إمبراطور الدولة الساسيانية ، ويبلغه هذه الرسالة الصادقة الجريئة ، المخلصة البريئة ، التي ليست في صالح فرد أو جماعة ، بل هي في صالح الإنسانية ، وفي صالح الشعب ؛ الحاكم والمحكومين ؟

إنما كان ذلك مسئولية هذه الأمة الإسلامية ، وقادتها ودعاتها ومفكريها ، وكتّابها ، ولا تزال هذه المسئولية قائمة ، ومستقبل العالم مرتبط بها .

« لقد تضخم العلم ، وتقدمت الصناعة في أوربا ، ولكنها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة .

إن تجارتها قمار يربح فيه واحد ويخسر فيه ملايين .

إن هذا العلم والحكمة والسياسة ، والحكومة التي تتبجح بها أوربا ، ليست إلا مظاهر جوفاء ، ليست وراءها حقيقة .

إن قادتها يمتصون دماء الشعوب وهم يلقون دروس المساواة الإنسانية ، والعدالة الاجتماعية .

إن الأمـة التي لا نصيب لها في التوجيه السماوي ، والتنزيل الإلهي ، غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار .

إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات ، وتسيطر فيها الصناعات ، تموت فيها القلوب ، ويقتل فيها الحنان والوفاء ، والمعاني الإنسانية الكريمة .

إن شعار الحضارة الحديثة الفتك ببني آدم الذين تقوم عليهم تجارتها، وتنفقُ سلعَتُها ، ليست هذه المصارف العظيمة إلا وليدة دهاء اليهود ، الذي انتزع نور الحق من صدور بني آدم .

إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم يعد هذا النظام رأسًا على عقب .

إنها حضارة شابة - بحداثة سنّها ، والحيوية الكامنة فيها - ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت ، وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر ، وتقتل نفسها بخنجرها ولا غرابة في ذلك ، فإن كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار ، ولا يستغرب أن يرث تراثها الديني ويدير كنائسها اليهود .

إن أساس هذه الحضارة ضعيف منهار ، وجدرانها من زجاج لا يحتمل صدمة .

إن الفكر المارد الذي أزاح الستار عن قوى الطبيعة أصبح بمجموعه يهدد وكر الغربيين ومهدهم .

إن العصر يتمخض عن عـالم جديد ، وإن العالم القديم الذي حوّله الغربيون مكانًا للقمار - يقامر فيه بأمن العالم وكرامة الأمم - يلفظ نفسه .





إن عقلها الجريء يغير على ثروة الحب ، وينمو على حساب العاطفة ، وإن عماليقها وثوارها قد طغى عليهم التقليد فلا يخرجون - حتى في ابتكارهم وثورتهم - عن الطريق المرسوم والدائرة المحدودة (١) .

وأقول لكم إخواني :

أقول لكم : لو أن قريشًا الذين فقدوا أعضاء أسرهم في معركة بدر ، وفي ساحة أحد ، لو رفعوا قضية ضد المسلمين ، وقالوا : إنا عرضنا الشراء إنا عرضنا الزواج الكريم ، إنا عرضنا الشرف العظيم على رسولكم فأبى ورفض ، وقال : ما بُعثت لهذا ، فكيف تعيشون هذه الحياة .

لا تُهِمّكم إلا المعيشة الباذخة ، لا يُهِمّكم إلا تحقيق المطالب البشرية ، وقضاء مآرب النفس ، لا دعوة ولا جهاد .

توجد عبادة الله وحده ، ولكن لا توجد الدعوة إلى أن يكون الدين كله لله ، وتنفذ شريعته وأحكامه .

إنا عرضنا عليكم الأموال ، وعرضنا عليكم الفرص الكريمة ، والمعيشة الطيبة الباذخة ، وأسباب الترف ، وعرضنا كل ذلك على نبيكم عرضنا عليه الفرص الطيبة المتاحة لعيشة باذخة مترفة ، ناعمة مشرفة ، فرفض وقال : ما بُعثت لهذا ، إنما بُعثت لأدعوكم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وليكون الدين واحدًا ، لأن الدين عند الله الإسلام ، إنا حاربناكم لأنكم تريدون أن تقيموا الدولة للإسلام ، ويكون الإقبال والتهافت على الإسلام ، أنتم كنتم تقولون : العبادة لله وحده ، هو المتصرف في الكائنات ، وهو

---

(١) ملتقط من « روائع إقبال » لكاتب هذه السطور .

المدبر ، وهو الخالق ، وهو الرازق ، وكنا ننكر هذا ، فوقعت الحرب بيننا وبينكم ، وقتل من قتل من عظمائنا وزعمائنا ، وأشرافنا .

لكنكم أقبلتم على الدنيا ، وتهافتم عليها تهافت الفراش على النار ، تريدون أن تكونوا باذخين ، مترفين ، وتتهيأ لكم الأسباب - أسباب النعيم ، أسباب الترف ، وأسباب التنعم واللذة - ما نرى فيكم همًا ، وما نرى فيكم حماسًا إسلاميًا ، وما نرى لكم السيرة الإسلامية الأولى التي كان يعيشها أصحاب نبيكم -ﷺ- .

معذرةً إليكم ، ومعذرةً إلى ضميري وشعوري الإسلامي ، إن كثيرًا من البلاد والمدن ، ولا سيما إذا دخل فيها غير مسلم ، دخل فيها دارس للتاريخ ، أو الذي يستطيع أن يقارن بين الماضي والحاضر ، رأى أن الحياة لا تختلف كثيرًا ، إنما هو نشاط لكسب المعيشة ، وحماس لجمع المال والمادة ، وحماس لقضاء الأهواء والشهوات ، وحرص على التكالب على الدنيا ، وتفضيل لغير مسلم على مسلم في التجارة والمصانع ، لمصلحة تجارية ومردود من الربح ، فهذه حقيقة مؤلمة .

يا إخواني : إن أسلوب الحياة التي يعيشها المسلمون الآن لا يتفق مع رسالة الإسلام اتفاقًا كليًا ، ولا يتفق مع أهداف الرسول -ﷺ- ، ولا يتفق مع الغاية التي خرج لأجلها المسلمون من المدينة إلى بدر ، وقاتلوا في سبيل الله على سبيل العموم .

فعلينا أن ننتبه إلى هذه النكتة ، وهو أنه قد صدق الله تبارك وتعالى ما قاله الرسول -ﷺ- ونصر المسلمين في بدر - على قلة عددهم وعلى ضآلة سلاحهم - فلما نصرهم الله كان معنى ذلك أن الله صدق ما قاله





الرسول -ﷺ- ، وكان عند الله قيمة لهذا :

« إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد » .

فأبقى الله سبحانه وتعالى المسلمين ، ونصرهم - على قلة عَدَدهم وعُددهم - عل أعدائهم من قريش ، فنشأ مجتمع إسلامي وحياة إسلامية في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، وبعد وفاته في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - وفي عهود كثيرة وطويلة .

ولكن الآن - مع الأسف - ضيعنا الشئ الكثير من هذه الأهداف ، ومن هذه الغايات ، ومن هذه الروح والعواطف ، ومن هذه الدوافع الدينية الإيمانية ، إنما نريد أن نرى هنا وفي كل بلد عربي يقطنه المسلمون ، حياة إسلامية سائرة ، ملحوظة ومرئية ، مجربة ، ملموسة ، يلمس الإنسان تلك الحياة ، الاستقامة على التوحيد ، والاستقامة على الإيمان بالله ، الاستقامة على إيثار الآخرة على الدنيا ، الاستقامة على خشية الله تعالى ، الاستقامة على تفضيل الإيمان والإسلام وأهلهما على من لا يدين بدين الإسلام ، رغم ما يحصل من النفع على استخدامه ، والاستقامة على العمل بشريعة الإسلام بكل شُعَبها رجالاً ونساءً ، والاستقامة على دعوة العالم - حتى العالم الغربي - إلى عبادة الله وحده وأن يكون الدين كله لله .

*و الحمد لله رب العالمين*

*وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد*

*وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .*

# الغزو الفكري في حياة المسلمين

## منافذ دخوله ، و وسائل مقاومته

[الحلقة الرابعة] بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

### آثار الغزو الفكري في وسائل الاعلام :

إن الغزو الفكري لم يقف على مناهج التعليم فحسب ، في حربه مع الإسلام ، وإنما تعدى ذلك إلى أداة أخرى لا تقل خطرًا إن لم تكن أخطر ، تلك هي وسائل الاعلام ، على تنوعها واختلافها .

لقد أدرك المستعمرون ما لهذه الوسائل الاعلامية من خطر فاستخدموها استخدامًا ناجحًا في غزوهم الفكري المنظم لأمة الإسلام .

يقول مؤلف « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » (٤٨) نقلاً عن المصادر التبشيرية الأجنبية : « إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط ، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه بل هي تخلق الرأي العام » .

و وسائل الاعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما ، مسخرة لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، والسعي بالفساد في الأرض بما يترتب على ذلك من زعزعة للعقيدة في النفوس ، وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل .. وهما : « العقيدة والأخلاق » أساس لبناء الإسلام فإذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء ؟ وأجهزة الإعلام أشد خطرًا من المدارس والجامعات ، فهي تخاطب جميع فئات الأمة : متعلمين وغير متعلمين ، وصغارًا وكبارًا ، ونساءً ورجالاً ، وحضريين وريفيين ، وأغنياء وفقراء ، وقد شكلت هذه الأجهزة وفق قيم ومناظر بعيدة عن





الإسلام عقيدة وشريعة (٤٩) .

وإذا كانت السيطرة على أجهزة التعليم والتشريع متعذرة في بعض البلاد ، فإن التغلغل إلى أجهزة إعلامه الداخلية ، وإغراق سوقه بمنتجات إعلامية موجهة وجهة تغريبية يضمنان تطبيع أجياله تطبيعًا مدمرًا .

وإذا كانت المدارس تقوم بتدريس الدروس الدينية ، والمساجد ما زالت عامرة بالمصلين فإن توجيه عشرات أجهزة الإعلام توجيهًا تغريبيًا يضمن حدوث خلل نفسي ، وتناقض وجداني ، وتمزق عقلي ، وازدواج في الشخصية .

وبذلك استطاع الغزو الفكري أن يخلق أجيالاً وفق قيم معينة ، تتصادم مع قيم أخري مبثوثة هنا وهناك .

وهذه من أخبث حيل التشويه في فكر المسلين وقيمهم ، فإذا كانت المدارس تضم ملايين ، فإن الإذاعة والتلفاز تتعامل يوميًا مع ملايين أكثر عددًا ، وأقل حصانة ، وإذا كانت الدول الإسلامية تستطيع فرض رقابة على مدارسها وجامعاتها ، إلا أنها لا تستطيع أن تفرض سلطتها على البرامج الإذاعية التي تبث من عواصم دول أجنبية ، كما لا تستطيع أن تتحكم في الأفلام السينمائية وأفلام الفيديو ، وإن كثيرًا من الأفلام والشرائط تهرّب بطرق بعيدة عن رقابة الدولة .

والعالم اليوم أصبح أشبه بقرية صغيرة ، وزالت الحدود والحواجز أمام أجهزة الإعلام المتطورة في هذا العصر .

وإن كثيرًا من الإذاعات المسموعة والمرئية داخل الأقطار الإسلامية وخارجها إنما تجري على سياسة إشباع الشهوات ، لا التوجيه والإرشاد ، وإن كثيرًا من برامجها يفسد ولا يصلح ، فقصصها المسلسلة مثار للفزع الذي يقلق النفوس ويسقم الناشئة ويجنح بطبائعهم إلى الانحراف .

وقد يكون تأثير مثل هذه البرامج والمسلسلات الملفقة والحوادث المصنوعة ضعيفًا على كبار النفوس وناضجي العقول من ذوي التجربة والمثقفين ، لأنهم لا يندمجون فيما يسمعون ، فهم دائمًا على ذكر من أن الذي يسمعونه هو مجرد أوهام لا تمت للواقع بصلة ، ولكن الشباب والأطفال وضعاف العقول لا يفرقون بين ما يسمعونه في الإذاعة وبين ما يشاهدونه في الحياة ، ولا يميزون بين القمة التي يشاهدونها على لوحة الخيال وبين واقع الأمر في الحياة ، فهم يندمجون اندماجًا كاملاً فيما يرون وما يسمعون من ذلك كله ، فتجذبهم الأحداث إلى الهياج تارة وإلى البكاء تارة أخرى ، وتنطبع آثارها في نفوسهم فتصبح جزءًا أصيلاً من مشاهداتهم وتجاربهم ، بل إنها تصبح أجمل من كل ما شاهدوا وما جربوا لما يحيطها من عوامل الاءغراء والإقناع والتأثير التي افتن فيها مخرجوها وبلغوا في ذلك أقصى الطاقة والجهد (٥٠) والهدفُ من القصص والمسرحيات التي تنشر من خلال وسائل الإعلام - هو تحطيم القيم الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلل الخلقي .. فقد كانت هذه القيم مع ضعفها في حياة المسلمين - عقبة ضخمة في سبيل الإفساد الخلقي الهائل الذي تهدف الصليبية إلى إحداثه في المجتمع الإسلامية .

وكذلك من وسائل الإعلام المدمرة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى لغات المسلمين فترجمت كثير من كتب القصص الغرامي والفن ، وقد كان الفن الذي يترجم هو الفن الذي تخلص تمامًا من القيم الدينية ، وراح يدعو إلى إقامة مجتمع حر « طليق » من تلك القيم ، مجتمع يهبط تدريجيًا حتى يصبح مجتمعًا حيوانيًا في النهاية ، ولم تكن هذه النهاية واضحة في القرن الماضي كما هي واضحة اليوم لكل ذي حس سليم ، وقد





كان هناك تشجيع خفي لنشر هذا الفن وترويجه بين الشباب خاصة ، والهدف من ذلك واضح (٥١) .

أما الكتب التي تحمل الفكر « العلماني » فالهدف من ترجمتها يوضحه (أ. شاتيلييه) في مقدمة كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » بقوله : « ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثولوكية ، تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية في قلوب منتحليها ، ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية ، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتك الإسلام بصحف أوربا ، وتمهد السبيل لتقدم إسلامي مادي وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها (٥٢) .

أما الصحافة فشأنها أعظم في نشر الغزو الفكري ، فقد استغل المبشرون الصحافة في كثير من بلاد المسلمين ، وعلى الأخص في مصر ، حيث قامت الصحافة بدور من أخطر الأدوار في حملة « التغريب » فإن مصر في نظر المخططين هي مركز التوجيه الروحي والثقافي بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية ، وبسبب وجود الأزهر فيها .. فإذا أمكن إفسادها من الناحية الإسلامية كان ذلك عونًا كبيرًا للذين يخططون لإفساد العالم الإسلامي كله لأن الفساد سيصدر يومئذ وعليه خاتم القاهرة ، فيكون أفعل في الإفساد مما لو جاء ، وعليه خاتم لندن أو باريس (٥٢) .

يقول المستشرق الإنجليزي المشهور « جب » في كتابه : « وجهة الإسلام » متحدثًا عن أهمية الصحافة في مجال الغزو الفكري (٥٤) : « والواقع أن المدارس والمعاهد العلمية لا تكفي ، فليست هي في حقيقة

الأمر إلا الخطوة الأولى في الطريق ، لأنها لا تغني شيئًا في قيادة الاتجاهات السياسية والإدارية .

وللوصول إلى هذا التطور الأبعد الذي - بدونه تظل الأشكال الخارجية مجرد مظاهر سطحية - يجب ألا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفًا إلى خلق رأي عام ، والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة ، ويقرر « جب » : « أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذًا في العالم الإسلامي ، كما يقرر أن مديري الصحف اليومية ينتمون في معظمهم إلى التقدميين » ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعًا تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية .

ويستعرض الكاتب بعد ذلك صحافة العالم الإسلامي مشيرًا إلى ما بينها من فروق فيقول : إن الصحافة التركية هي بطبيعة الحال وطنية لا دينية ، وهي لا تجرؤ على أن تكون دينية ، لأنها مراقبة من الحكومة مراقبة شديدة ، أما الصحافة المصرية فهي على العكس من اتجاه الأولى الثوري - تتطور في بطء وتعرض طائفة من الآراء الجديدة ، وهي على كل حال لا دينية في اتجاهها .

وللأسباب التي ذكرتها وغيرها مما لم أتطرق إليه - فإن الدراسات الاجتماعية والتربوية المعاصرة تعتبر « صناعة الإعلام » من أخطر وأهم الصناعات على الصغير والكبير ، المتعلم والأمي ، المسلم وغير المسلم .

وإذا كانت الانقلابات العسكرية تستهدف أول ما تستهدف الاستيلاء على الإذاعة والتلفاز ، فإن أجهزة الغزو الفكري تستهدف ذلك بنفس الدرجة وبذات الأهمية ، لكن بطريقة ذكية ، وبناء على خطة بعيدة المدي .

وإذا كانت المجتمعات الإسلامية تشكو من ارتفاع نسبة الأمية





الأبجدية ، فلتكن السيطرة الغازية إذن على المسموع والمشاهد ، ولتستمر بذلك الأمية الأبجدية ، ولتضاف إليها أمية دينية ، وأمية ثقافية ، ولتحل محلها شخصيات ممسوخة قد تحللت من الدين عقيدة وشريعة .

وقد أوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة المنعقد في عام ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكي السلام - وقد ندد هذا المؤتمر بحال الإعلام في البلاد الإسلامية : " و يندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها إعلامنا ولا يزال يتردى ، عن علم القائمين به أو عليه أو عن جهل منهم ، فبدلاً من أن يكون الأعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار إشعاع للحق صار صوت إفساد وسوط عذاب .. وسكت القادة فأقرّوا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا .. وزلزلوا الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم ، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق » (٥٥) .

[يتبع]

## الهوامش :

(٤٨) التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ص/٢١٢ الطبعة الثانية .

(٤٩) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٧٢ .

(٥٠) حصوننا مهددة من داخلها ، د/محمد محمد حسين ، الطبعة الخامسة ، المكتب الإسلامي .

(٥١) واقعنا المعاصر : ص/١٢٧ .

(٥٢) راجع هذه المقدمة في كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » ترجمة محي الدين الخطيب .

(٥٣) واقعنا المعاصر : ص/٢٢٩ .

(٥٤) « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» : ص/٢٠٢ .

(٥٥) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٧٢ .

الدعوة الإسلامية

# الغيبة مرض خطير

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

تهتم دول العالم في عصرنا الحاضر ، حيث تقدم الطب ، وتطور وسائله ، بأسباب الوقاية من المرض قبل وقوعه ، ولذا ابتكرت الأمصال واخترعت وصنعت اللقاحات ، للتحصين بها ضد عديد من الأوبئة ، على مبدأ الوقاية قبل العلاج ، هذا فيما يعهده الإنسان من الأمراض الجسمانية المحسوسة .. أما الأمراض القلبية ، المرتبطة بالإسلام عقيدة ، وما يتعلق بالمرء مع خالقه ، و وظيفته الأساسية التي جاء إلى الدنيا من أجلها ، وما ينعكس على عبادته مع الله ، فإن تعاليم الإسلام ، تحجز النفس البشرية عن غيها ، وتحميها عن الشرور التي توقع صاحبها المهالك .

والغيبة واحدة من الشرور التي اهتم بمعالجتها الإسلام ، و وضع حواجز تمنع النفس البشرية من الانغماس في أوحالها ، حيث يجب على كل مسلم أن يحذرها ، وأن يغالب نفسه عن الوقوع فيها ، وذلك بأن يحرص على تحصين قلبه ، وحماية لسانه باللقاح الذي رسمته سنة رسول الله -ﷺ- : أدبًا خلقيًا ، وتربية رفيعة ، وتوجيهًا بنماذج محسوسة ، ليكون من ذلك حصانة للنفس ، و وقاية للمجتمع .

يظهر مثل ذلك ، في هذا التوجيه الكريم ، والدرس العملي ، من رسول الله -ﷺ- لأفضل الصحابة وهما : أبو بكر و عمر - رضي الله عنهما - ، وهما من هما سابقة في الإسلام ، ودفاعًا عنه ، وحسن اتباع لرسول الله -ﷺ- ، حيث أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن يحيى بن أبي بكر أن نبي الله -ﷺ- كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر ، فأرسلوا إلى





رسول الله -ﷺ- يسألونه لحمًا ، فقال : أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعًا ؟ قالوا : من أين ؟ فو الله ما لنا باللحم عهد منذ أيام ؟ فقال -ﷺ- : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم ، قالوا : يا نبي الله ، إنما قلنا إنه لضعيف ، ما يعيننا على شئ ، قال : ذلك فلا تقولوا : فرجع إليهم الرجل فأخبرهم ، بالذي قال -ﷺ- ، فجاء أبو بكر فقال : يا نبي الله استغفر لي ، ففعل ، وجاء عمر فقال : يا نبي الله استغفر لي ، ففعل .

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة - رضي الله عنها - ، أنها سألت عن الغيبة ، فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة ، وغدا رسول الله -ﷺ- إلى الصلاة وأتتها جارة لها من نساء الأنصار ، فاغتابتا وضحكتا برجال ونساء ، فلم يبرحا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي -ﷺ- منصرفًا من الصلاة ، فلما سمعتا صوته سكتتا ، فلما قام بباب الدار ، القي طرف ردائه على أنفه ، ثم قال : « أفٍ ، أخرجا فاستقينا ، ثم طهرا بالماء » ، فخرجت أم سلمة فقاءت لحمًا كثيرًا قد أحيل ، فلما رأت كثرة اللحم ، تذكرت أحدث لحم أكلته ، فوجدته في أول جمعتين مضتا ، فسألهما عما قاءت فأخبرته ، فقال -ﷺ- : « ذاك لحم ظللت تأكلينه ، فلا تعودى أنت وصاحبتك فيما ظللتما فيه من الغيبة » وأخبرتها صاحبتها أنها قاءت مثل الذي فاءت من اللحم ، فهل ينتبه كثير من المسلمين اليوم رجالاً ونساءً لمثل هذا الأمر الخطير الذي يحبط الأعمال .

فأخرج البخاري في الأدب ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : من أغيب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيرًا في الدنيا والآخرة ، ومن أغيب عنده فلم ينصره جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شرًا ، وما التقم أحد لقمة شرًا من اغتياب مؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه ،

وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته ، [الدر المنثور : ٥٧٢/٧] ، وما أقل في هذا الزمان من يحمى الأعراض ، ومن ينصر المؤمن لإيمانه وتقواه .

والغيبة لا تقتصر على اللسان ، كما بان من أحاديث رسول الله -ﷺ- ، و فهم علماء الإسلام ، وقد أوضح ذلك بدقة ، الغزالي حيث عقد فصلاً بهذا ، وقال : اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الآخرين نقصان أخيك ، وتصريفه بما يكرهه ، فالتعريض به كالتصريح ، والفعل كالقول والإشارة ، والإيماء والغمز والهمز ، والكتابة والحركة ، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة ، وهو حرام .

فمن ذلك قول عائشة - رضي الله عنها - : دخلت علينا امرأة فلما ولّت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال النبي -ﷺ- : اغتبتيها ، ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجًا ، أو كما يمشي ، فهو غيبة ، بل هو أشد من الغيبة ، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم ، ولما رأى رسول الله -ﷺ- عائشة حاكت امرأة قال : « ما يسرني أني حاكيت إنسانًا ولي كذا وكذا » وهذا النوع يتمادى فيه من يريدون اضحاك الناس والتظرف إليهم من ممثلين وغيرهم .

وكذلك الغيبة بالكتابة ، فإن القلم أحد اللسانين ، وذكر المصنف شخصًا معينًا ، وتهجين كلامه في الكتاب غيبة ، إلا أن يقترن به شئ من الأعذار المحوجة إلى ذكره ، وأما قوله : قال قوم كذا ، فليس ذلك غيبة ، إنما الغيبة التعرض لشخص معين ، إما حي وإما ميت .

ومن الغيبة أن تقول : بعض من مرّ بنا اليوم ، أو بعض من رأيناه ، إذا كان المخاطب يفهم منه شخصًا معينًا ، لأن المحذور تفهيمه دون ما به





التفهيم ، فأما إذا لم يفهم عينه جاز ، فقد كان رسول الله -ﷺ- إذا كره من إنسان شيئًا قال : « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا » فكان لا يعين ، وقولك بعض من قدم من السفر ، أو بعض من يدعى العلم ، إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة ، وأخبث أنواع الغيبة ، غيبة القراء المرائين ، فإنهم يفهمون المقصود ، على صيغة أهل الصلاح ، ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ، ويفهمون المقصود ، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين : الغيبة والرياء ، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان ، فيقول : الحمد لله الذي لم يتبلنا بالدخول على السلطان ، والتبذل في طلب الحكام ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء ، نسأل الله أن يعصمنا منها ، وإنما قصده أن يفهم عيب الآخرين ، فيذكرهم بصيغة الدعاء ، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته ، فيقول : ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقصر في العبادات ، ولكن قد اعتراه فتور ، وابتلي بما يبتلي كلنا ، وهو قلة الصبر ، فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره ، في ضمن ذلك ، ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين ، بأن يذم نفسه ، فيكون مغتابًا ومرائيًا ، ومزكيًا نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ، ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل ، إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم ، فإنه يتبعهم ، ويحيط بمكايده عملهم ، ويضحك عليهم ، ويسخر منهم .

ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين ، فيقول : سبحان الله ما أعجب هذا ، حتى يصغي إليه ، ويعلم ما يقول ، فيذكر الله تعالى ، ويستعمل اسم آلة له ، في تحقيق خبثه ، وهو يمتن على الله

-عزوجل- بذكره جهلاً منه وغرورًا ، وكذلك يقول : ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به ، نسأل الله أن يروح نفسه ، فيكون كاذبًا في دعوى الاغتمام ، وفي إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته ، ولو كان يغتم به ، لاغتم أيضًا بإظهار ما يكرهه ، و كذلك يقول : ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة ، تاب الله علينا وعليه ، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء ، والله مطلع على خبث ضميره ، وخفي مقصده ، وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم ، مما تعرض له الجهال إذا جاهروا .

ومن ذلك الإصغاء إلى النميمة على سبيل التعجب ، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة ، فيندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق ، فيقول : عجيب ما علمت أنه كذلك ، ما عرفته إلى الآن إلا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا .

بل الساكت شريك المغتاب قال -ﷺ- : « المستمع أحد المغتابين » فجمع بينهما ، فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة ، إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف ، وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الإثم ، ما لم يكرهه بقلبه ، ولا يكفى في ذلك أن يشير باليد أي اسكت ، أو يشير بحاجبه وجبينه ، فإن ذلك استحقار للمذكور ، بل ينبغي أن يعظم ذلك ، فيذب عنه صريحًا . [إحياء علوم الدين : ٢/١٤٢-١٤٢] .

وقد استثنى العلماء حالات من الغيبة ، قال ابن كثير في تفسيره : والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما





في الجرح والتعديل ، والنصيحة كقوله -ﷺ- لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : « ائذنوا له بئس أخو العشيرة » وكقوله -ﷺ- لفاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - ، وقد خطبها معاوية ، وأبو الجهم : « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وكذا ما جرى مجرى ذلك ، لأن المستشار مؤتمن ، ثم بقيتها على التحريم الشديد وقد ودر فيها الزجر الأكيد [٢/٢١٤] .

والغزالي في الإحياء قد توسع في الغيبة ، واستوفاها حقها ، وذكر الأسباب الباعثة على الغيبة ، وهي مجملة في أحد عشر سببًا ، والأعذار المرخصة للغيبة ، وشرحها في ستة أمور ، وتوسع في العلاج الذي به يمنع اللسان من الغيبة ، وخرج من ذلك بخلاصة في بيان تحريم الغيبة بالقلب ، ثم ختم ذلك ببيان كفارة الغيبة ، التي جعلها آفة من آفات اللسان ، ولأهمية ذلك ، رجاء أن ينتفع به كل صاحب غيبة ، بأن له من هذا المقال نقطة الضعف من نفسه ، فإن من المناسب إيراد قوله في الخاتمة : اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ، ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ، ثم يستحل المغتاب ليحله ، فيخرج من مظلمته ، وينبغي أن يستحله ، وهو حزين متأسف نادم على فعله ، إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع ، وفي الباطن لا يكون نادمًا ، فيكون قد قارف معصية أخرى ، وقال الحسن : يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ، وربما استدل في ذلك بما روى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله -ﷺ- : « كفارة من اغتبته أن تستغفر له » ، وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير ، وسئل عطاء بن

أبي رباح عن التوبة من الغيبة قال : أن تمشي إلى صاحبك فتقول له ، كذبت فيما قلت ، وظلمتك وأسأت ، فاءن شئت أخذت بحقك ، وإن شئت عفوت ، وهذا هو الأصح .

وقول القائل : العرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه ، بخلاف المال ، كلام ضعيف ، إذ قد وجب في العرض حد القذف ، وتثبت المطالبة به ، بل في الحديث الصحيح ما روى أنه -ﷺ- قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال ، فليستحلها منه ، من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يؤخذ من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته » ، وقالت عائشة لامرأة قالت لأخرى : إنها طويلة الذيل ، قد اغتبتيها فاستحليها ، فإذن لابد من الاستحلال إن قدر عليه ، فإن كان غائبًا أو ميتًا ، فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ، ويكثر من الحسنات ، فإن قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول : لا لأنه تبرع ، والتبرع فضل وليس بواجب ، ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه ، والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه ، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتوددة حسنة محسوبة له ، يقابل بها سيئة الغيبة ، في القيامة ، وكان بعض السلف لا يحلل ، قال سعيد بن المسيب : لا أحلل من ظلمني ، وقال ابن سيرين : إني لم أحرمها عليه فأحللها له ، إن الله حرم الغيبة عليه ، وما كنت لأحلل ما حرم الله أبدًا ، فإن قلت : فما معنى قول النبي -ﷺ- : ينبغي أن يستحلها ، وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن ، فنقول : المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالاً ، وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل ، قبل الغيبة ، فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة ، فإن قلت : فما معنى





قول النبي -ﷺ- : « أ يعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس » فكيف يتصدق بالعرض ، ومن تصدق به فهل يباح تناوله ؟ فإن كان لا تنفذ صدقته ، فما معنى الحث عليه ، فنقول : معناه إني لا أطلب مظلمة في القيامة ، ولا أخاصمه وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً به ، ولا تسقط المظلمة عنه ، لأنه عفو قبل الوجوب ، إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم ، فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ، أن له ذلك ، بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ، ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا .

وعلى الجملة فإن العفو أفضل ، قال الحسن : إذا جثت الأمم بين يدي الله -عزوجل- ، يوم القيامة ، نودوا : ليقم من كان له أجر على الله ، فلا يقوم إلا العارفون عن الناس في الدنيا ، وقد قال سبحانه : « خذ العفو وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » فقال النبي -ﷺ- : « يا جبريل ما هذا العفو ؟ فقال : إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك » وروى عن الحسن : أن رجلاً قال له : إن فلانًا قد اغتابك ، فبعث إليه رطبًا على طبق ، وقال : قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني أقدر أن أكافئك على التمام [إحياء علوم الدين : ٢/١٥٠] .

وهذا ملح جدير بالعناية اهتم به أسلافنا ، فهل لنا أن نتأسى بهم لننقذ أنفسنا قبل الندامة ، أرجو أن يحاسب كل مسلم نفسه ، ويراجعها بتوبة صادقة مع الله والعزم على ترك الغيبة .

## من صدق الله نجا :

جاء في كتاب مجمع الأمثال ، أن أبا هريرة - رضي الله عنه - روى عن النبي -ﷺ- أنه قال : « إن ثلاثة نفر انطلقوا إلى الصحراء ، فمطرتهم السماء ، فلجأوا إلى كهف في جبال ينتظرون إقلاع المطر ، فبينما هم كذلك ، إذ هبطت صخرة من الجبل ، وجثمت على باب الغار ، فينسوا من الحياة والنجاة ، فقال أحدهم : لينظر كل واحد منكم إلى أفضل عمل عمله فليذكره ، ثم ليدع الله تعالى عسى أن يرحمنا وينجينا، فقال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنى كنت بارًا بوالديّ ، وكنت آتيهما بغبوقهما فيغتبقانه ، فأتيت ليلة ، بغبوقهما فوجدتهما قد ناما ، وكرهت أن أوقظهما ، وكرهت الرجوع ، فلم يزل ذلك دأبى حتى طلع الفجر فإن كنت عملت ذلك لوجهك فأفرج عنا ، فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء ، وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنى هويت امرأة ، ولقيت في شأنها أهوالاً حتى ظفرت بها ولكني تركتها خوفًا منك ، فإن كنت تعلم أنه ما حملني على ذلك إلا مخافتك فأفرج عنا ، فانفرجت الصخرة ، حتى لو شاء القوم أن يخرجوا لقدروا .

وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أنى استأجرت أجراء ، فعملوا لي فوفيتهم أجورهم إلا رجلاً واحدًا ترك أجره عندي ، وخرج مغضبًا ، فربيت أجره ، حتى نما وبلغ مبلغًا ، ثم جاء الأجير فطلب أجرته ، فقلت : هاك ما ترى من المال ، فإن كنت تعلم إني ما عملت ذلك إلا لمخافتك فأفرج عنا ، فمالت الصخرة وانطلقوا سالمين ، فقال -ﷺ- : « من صدق نجا » [١٦٧/٢] .



# تجربتي في الدعوة الإسلامية في اليابان

[الحلقة الأولى]

[ بقلم : الدكتور صالح السامرائي ]

**تعرفت** عند وصولي لباكستان في سبتمبر ١٩٥٨م على السيد عبد الرشيد أرشد الذي كان مهندسًا كبيرًا في مصلحة التلفونات والبرق وذلك عن طريق سماحة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان حينئذ في زيارة لباكستان ، وكان السيد أرشد من جماعة التبليغ العاملة في حقل الدعوة الإسلامية ومنذ ذلك الحين توطدت الصلة بيني وبينه ، وذهب مرة في مهمة استطلاعية رسمية إلى اليابان استغرقت تسعة شهور كان يكتب لي من هناك عن نشاطه وجماعة التبليغ في نشر الإسلام ، وبعد عودته كان دائمًا يحثني على الذهاب إلى اليابان وكان مما يقوله : « إن اليابان مثل بالباكستان مليئة بالفواكه ، وإنك حين تدخله تبدأ في جني الثمار وجمعها رأسًا حتى تملأ كل ما عندك من أوعية » وكان يصف اليابانيين الذين يسلمون ويشبههم بالصحابة - رضي الله عنهم - في إيمانهم وسلوكهم ، ولكثرة ما شوقني لزيارة اليابان قلت في نفسي،دعني أذهب لأتأكد مما يقوله هذا الأخ الباكستاني ويطمئن قلبي لصحة حديثه فإن كان الأمر كما يقول عدت إلى بلاد العرب لأقف خطيبًا في مساجدهم قائلاً : « إنكم إذا أردتم أن تفتحوا بلدًا بصورة سلمية فهلموا إلى اليابان » وبعد أن أنهيت دراستي الجامعية في باكستان من جامعة البنجاب في الزراعة حصلت على قبول للدكتوراة من جامعة شتوت كارد بألمانيا ومن جامعة

جنيف بسويسرا وعزمت على السفر إلى اليابان لمصاحبة مجموعة من أهل التبليغ ثم من هناك أتوجه إلى ألمانيا أو إلى سويسرا، وفي طريقي إلى أوربا كنت مخططًا أن أزور الصين والمناطق الإسلامية في الاتحاد السوفيتي للاطلاع على أحوال المسلمين هناك ، سافرت من باكستان إلى الهند ومن كلكتا ركبت الباخرة متوجهًا إلى اليابان وبعد خمسة وعشرين يومًا وصلت ميناء يوكوهاما في السابع والعشرين من تشرين الأول أكتوبر ١٩٦٠م والتحقت في طوكيو بمجموعة التبليغ الباكستانيين وهم كانوا قد وصلوا قبلي بشهر ، وتجولت معهم لمدة شهرين تقريبًا في مختلف أنحاء اليابان وكان مما لاحظته هو أن عددًا كبيرًا من اليابانيين يدخلون الإسلام ويقبلونه إلا أن جماعة التبليغ تعود لبلدها وتترك هؤلاء المسلمين بدون رعاية فمثلهم كمن يزرع بذورًا في صحراء فإن أصابها مطر نبتت وترعرعت وإن لم يصبها ماء ماتت في مهدها ، فاستخرت ربي واستشرت بعض أصدقائي وقررت البقاء في طوكيو لأكمل الدراسة في إحدى جامعاتها ثم أوجه نظر العالم الإسلامي والعرب خاصة لمساعدة الدعوة الإسلامية الناشئة في هذا البلد الناشئ ، و وفقني الله للحصول على قبولي في أكبر جامعة باليابان وهي جامعة طوكيو « في طوكيو وحدها مائة جامعة » .

لقد كانت هناك بدأت محاولة لتشكيل جمعية للطلبة المسلمين إلا أن القائمين عليها غادروا طوكيو ، أحدهما إيراني رجع إلى بلده وهو المهندس معين وإسمه سعدي فاضل والآخر عراقي وسامرائي أيضًا نقل إلى جامعة كيوشو في أقصى جنوب اليابان ، فبدأت الاتصال بالطلبة المسلمين وشكلنا جمعية الطلبة المسلمين في اليابان التي كانت تضم طلابًا من





أندونيسيا « وكانوا أكثر نسبة بين الطلاب المسلمين » وباكستان وإيران وتركيا و البلاد العربية و الملايو و من الأقليات المسلمة في تايلاندا وبورما وفيتنام وكمبوديا ومعهم الطلاب اليابانيون المسلمون وكان ذلك في أوائل ١٩٦١م ، كانت هناك جمعيات قومية و وطنية مثل جمعية الطلبة العرب وجمعية الطلبة الأندونيسيين وجمعية الطلبة الباكستانيين إلا أن أغلب أعضاء هذه الجمعيات من المسلمين كانوا أوتوماتيكيا أعضاء في جمعية الطلبة المسلمين وكان هناك انسجام بين انتماء الفرد لوطن أو عرق وبين ولائه للعقيدة الإسلامية وهذا هو عين ما وقع في تاريخ الإسلام الطويل إذا أنه لم يقض على القوميات بل اعترف بها وآخي بينها ﴿ وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ﴾ فمنذ ظهور الإسلام ظل سلمان فارسيًا وصهيب روميًا وبلال حبشيًا وصلاح الدين كرديًا ومحمد الفاتح تركيًا وبقي العربي عربيًا والأفغاني أفغانيًا إلا أن محصلة جهودهم وإخلاصهم و ولائهم كانت للإسلام .

والنشاط الذي كانت تقوم به الجمعية ذو شقين : الأول مع الطلبة من أعضائها والآخر مع المسلمين اليابانيين ، فلقد هيأت للطلبة جوًا ساعد على اعتزازهم بدينهم وعدم ذوبانهم في مجتمع غريب عنهم ، إذ من المعلوم أن الإنسان إذا تغرب يضعف أمام التيارات ، فإذا وجد من يقومه استقام ، وكانت تستغل المناسبات الإسلامية و تستفيد منها كالأعياد ورمضان فيجتمع الطلبة ، وتعمل الاحتفالات والإفطار المشترك والسفرات والندوات ، كل هذه ساعدت إلى حد كبير على احتفاظ الطالب بنوع من الصلة بدينه ومجتمعه الذي جاء منه ، ولقد كان الارتباط واضحًا بين الطلبة المسلمين أثناء إقامتهم في بيوت الطلبة المختلفة سواء لدى

إدارة هذه البيوت أو المقيمين فيها من أتباع الملل الأخرى ، أما بالنسبة للنشاط مع المسلمين اليابانيين فقد تأسس مجلس إسلامي مشترك مع جمعية مسلمي اليابان أخذ على عاتقه مسئولية التخطيط للدعوة الإسلامية في البلد ، وأول عمل قام به هو توجيه نداء إلى العالم الإسلامي للفت نظره لمساعدة النشاط الإسلامي في اليابان ، ولقد حصلنا على مساعدات مادية من الكويت والسعودية كانت الأساس في أغلب أعمالنا ، وحصلنا على كتب ونشرات من بعض البلاد الإسلامية مثل الباكستان ، وطبعت عدة كتيبات ورسائل باللغة اليابانية وصدرت جريدة « صوت الإسلام » في اليابان مرة كل عشرين يومًا ، وعقدت دورات للشباب المسلم الياباني لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

وكانت هذه الدورات تعقد في معبد مونجين الذي يبعد عن طوكيو ثلاث ساعات ، والمعبد على سفح جبل أخضر « واليابان كلها خضراء لوجود الغابات وأشجار الفاكهة » أسلم صاحبه واسمه مونجين وأحاله إلى مسجد بعد أن كانت تقام فيه الشعائر البوذية ، إن الإنسان يشعر بقربة من الله وتتراءي له عظمة هذا الدين في تلك الأصقاع التي لم تشهد في حياتها مسلماً بينما ترتج جوانب الجبال بصوت الله أكبر يرفع خمس مرات ، ونحمد الله على أن ظهر من أبناء هذا الشعب الذي ما سمع كلمة التوحيد من قبل ولم تتعفر جبهته بتراب السجود لله من يقف بكل خشوع مصليًا ويتلو القرآن الكريم بعجمة هي أوضح من عجمة أي شعب مسلم غير عربي ، رغم أنه حديث عهد بالإسلام ، ومما يجعل الجو أقرب إلى الفطرة هو أننا خلال إقامتنا عند مونجين لا نتناول إلا الطعام الطبيعي الذي تُنبته الأرض كالرز الأسمر الذي لم تتناوله يد الإنسان





بالتبييض والتلميع وأنواع الفاكهة والخضر المكبوسة وبراعم البامبو المسلوقة والجلوس لتناول الطعام يكون على الأرض على الطريقة اليابانية ، وهنا يعطى المسئول عن الدورة الإشارة ببدء الطعام ولكن بدلاً من أن يستعمل اللفظ الياباني التقليدي « إيتادا كيمس » يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » ويتبعها باللفظ التقليدي الذي يعطى معنى مقاربًا للإسلام ، في مثل هذه الدورات كنا نعد الشباب الياباني المسلم ، وقد ذهب قسم من هؤلاء بل أكثرهم إلى الأزهر الشريف وبقية الجامعات في البلاد العربية والإسلامية ورجعوا بعد أن تعلموا الكثير واستلموا جمعية مسلمي اليابان وهم يلعبون الآن دورًا هامًا في النشاط الإسلامي باليابان بل إن أساتذة اللغة العربية في اليابان معظمهم منهم وكان المجلس الإسلامي يقوم بإرسال الدعاة والمبلغين إلى أنحاء اليابان المختلفة لتفقد التجمعات الإسلامية ولدعوة الآخرين إلى الإسلام ، وكان المجلس يتحمل نصف نفقات الدعاة والنصف الباقي يتحمله الدعاة أنفسهم ومعظمهم من الطلبة ، وكانت هذه الجولات تعمل على تقوية الأواصر الأخوية بين الداعين أنفسهم وتزيد من ارتباطهم بعقيدتهم إضافة لما يقدمونه من مثل حي عن الإسلام ، إذ إن معظمهم من الشباب ومن جنسيات مختلفة ، والأندونيسيون منهم أقرب في سحنتهم إلى اليابانيين ، كل هذه الأمور تجعل الياباني يطمئن إلى هؤلاء القادمين السمر والصفر ، ذلك الاطمئنان الذي لا يتوفر مثله لدعاة الأديان الأخرى ، كما أن ذلك يشعر الياباني أن له مكانًا داخل المجتمع الإسلامي ، وقد دفع هذا الشعور أحد طلاب جامعة طوكشيما التي كنا نتحدث فيها مرة عن الإسلام إلى القول : « إن الدولة العالمية التي هي حلم الفلاسفة قديمًا وحديثًا لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق

الإسلام » ، وكنا نمثل الإسلام في المؤتمرات التي تعقد فلقد دأبت إحدى الجامعات التبشيرية الخمس في طوكيو على عقد مؤتمر سنوي دولي للطلاب ، وكانوا يدسون الموضوع الذي يريدونه بين عدة مواضيع تبحث في حلقات وندوات مختلفة فكنت اختار الندوة التي يريدونها هم - وهي التي تبحث موضوع الدين والسياسة - وحضرتها مع أخ ملايوي ولما وصلني الحديث بعد أن تحدث أصحاب الأفكار والأديان الأخرى ، قلت : « إني لا أوافق أن يتدخل أي دين في السياسة إلا الإسلام » وشرحت لهم وجهة نظر الإسلام وفي نهاية المناقشة نهض شاب ياباني فصافحني قائلاً : « من بين هؤلاء الذين حضروا الندوة أبايعك على الإسلام ومعلنا قبوله » وكان لنا صديق أمريكي يعمل رئيسًا لمعهد الأديان المقارن ويعمل في التبشير المسيحي في اليابان لأربعين عامًا ، ودعا هذا الرجل واسمه الدكتور وودرد ممثلي جميع الأديان لمناقشة استمرت يومًا كاملاً ، وحضر ممثلو الهندوكية والبوذية ، والشنتو « دين اليابان الأصلي » والمسيحية والإسلام ، ومن أعجب ما دار في المناقشة أن وجه المندوب الهندوكي سؤالاً وجهه لأتباع الديانات : « هل تؤمن بأن جميع ما جاء في كتابك المقدس حق مطلق : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ؟ فكان أن أجاب ممثلو الأديان جميعًا بأنهم لا يعتقدون ذلك بما فيهم المندوبون المسيحيون الثلاثة وهم طالب ماجستير أمريكي وبروفيسور أمريكي والدكتور وودرد ، وحين وصلني الدور ومعي الأخ عبد الرحمن الصديقي قلنا بلسان واحد : نعم نحن نعتقد أن كل ما جاء في القرآن حق مطلق فبهت الحاضرون .

هذا مجمل عن نشاط جمعية الطلبة المسلمين التي كنت فيها مساعدًا





للسكرتير العام خلال السنين الثلاث الأولى من إقامتي في اليابان وسكرتيرها العام خلال السنين الثلاث الأخيرة ، وكان السكرتير العام الأخ عبد الرحمن الصديقي الباكستاني وهو شاب يتقد ذكاء وحركة ونشاطًا ، وداعية من الطراز الأول ، وكان طالبًا في جامعة التجارة بطوكيو .

والآن لنتكلم عن اليابان والشعب الياباني باختصار ، فمساحة البلد نصف مساحة سوريا وتشكل الجبال ثمانين بالمائة من أراضيها ويبلغ تعداد السكان مائة مليون يعيش منهم اثنا عشر مليون في طوكيو ولذا تعتبر اليابان من أكثر البلدان ازدحامًا .

والبلد فقير في المواد الأولية ورغم ذلك فإنه ثاني دولة في الإنتاج الصناعي ، والياباني دؤوب ومخلص في العمل و واقعي في نظرته وقد ينظر إلى نفسه أنه متأخر عن بعض الدول المتقدمة إلا أنه يبذل جهده للتغلب على هذا الشعور بالجد الاجتهاد ، والياباني شرقي في مشاعره رغم محاولات الاستغراب ، يهتم في الأقطار الآسيوية لا بدافع اقتصادي فحسب ، وهذا عامل مهم في علاقة اليابان بالبلدان الأخرى ، ولكن نتيجة لشعورهم بوحدة المصير وتشابه الأحاسيس والعادات ، وهذه المشاعر تؤثر على نظرة الياباني إلى العالم وخصوصًا نظرته للأديان والمبادئ العالمية ، أما عن الوضع الديني للشعب الياباني وعلاقة ذلك بالدعوة الإسلامية وإمكانيات نشرها ، فإن الديانة الأصلية لليابانيين هي الشنتو والتي تعتمد على عبادة المظاهر الطبيعية وأرواح الأسلاف .

ثم جاءت البوذية عن طريق الصين في القرن السابع الميلادي ، وبعد صراع مع الديانة الأصلية استطاعت أن تكسب جانبًا من الشعب الياباني وتعايشت الديانتان بسلام ، ثم جاءت المسيحية بعد ذلك في القرن

السادس عشر وبعد محاولات عديدة استمالت نصف مليون ياباني تقريبًا، وفي الوقت الحاضر وبعد اندحار اليابان في الحرب العالمية الثانية فقدت ديانة الشنتو والبوذية سلطانها الأصلي وبقيت منها العادات والتقاليد التي أصبحت جزءًا من حياة الفرد الياباني ، ولو سألت الناس عن دينهم لأجابوك بكل بساطة بأنه لا دين لهم ، وهذا يعبر عن الضياع الفكري الذي يعاني منه الشعب الياباني ، أما بالنسبة للإسلام فلم يحفظ لنا التاريخ أية محاولة مبكرة لدخوله هذه الجزر، وأول المحاولات التي وصلت إلينا هي محاولتان في أوائل هذا القرن الميلادي أولها رواها مسلم تتري من قازان التي كانت يومًا مـا معقلاً إسلاميًا و هي الآن مسخها السوفيت ، و اسمه عبد الرشيد إبراهيم من تلاميذ جمال الدين الأفغاني - رحمه الله - .

فقد نقل أن امبراطور اليابان ميجي بعث للمرحوم السلطان عبد الحميد رسالة،طلب فيهاأن يبعث لليابان دعاة مسلمين يبلغون الإسلام للشعب الياباني ، فاستشار السلطان عبد الحميد جمال الدين الأفغاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك إذا بعثت لهم العلماء الموجودين في السلطنة فإن هذا ليس في مصلحة الإسلام لأنهم غير مهيئين لهذا النوع من الدعوة والأحسن أن تدرب بعض الدعاة على مثل هذا العمل وترسلهم .

وذكر ابراهيم أن جمال الدين الأفغاني حثه على السفر إلى اليابان فسافر ١٩٠٩م واستقبله الصحافة على أنه مندوب السلطان وبقي ثمانية أشهر أسلم على يده أول مسلم ياباني اسمه عمر ياما أوكا الذي حج معه وألف كتابًا عن الإسلام ، والمحاولة الثانية ذكرها صاحب جريدة « الإرشاد » المصرية واسمه علي أحمد الجرجاوي حيث سمع عن عقد مؤتمر للأديان في طوكيو وأن اليابانيين يفتشون عن دين فسافر في عام





١٩٠٦م يصحبه عالم أزهري ورجل تونسي عن طريق البحر والتحق بهم شخص صيني مسلم من هونگ كونگ واستقبلهم في ميناء يوكوهاما شخص أسماه مخلص محمود الروسي وتعاون هؤلآء كلهم وأنشأوا مركزًا إسلاميًا مؤقتًا وعقدوا الاجتماعات التي بينوا فيها مبادئ الإسلام ، وقال : هذا الداعية المصري إنه أسلم حينئذ اثنا عشر ألف ياباني نصفهم أسلموا خلال فترة إقامته باليابان والتي استغرقت اثنين وثلاثين يومًا فقط .

وبعد ذلك جرت محاولات أخرى مقصودة وغير مقصودة قام ببعضها المسلمون من الأتراك التتار المهاجرون من روسيا ، كما أن بعض اليابانيين أسلموا في الصين أثناء احتلال اليابان لمنشوريا والصين وفي أندونيسيا والملايو أثناء الحرب العالمية ، ويبدو أن الهزائم التي حلت بالمسلمين في العالم خلال النصف الأول لهذا القرن الميلادي وعدم مداومة الاتصال بالمسلمين الجدد في اليابان وغير ذلك من العوامل عملت على انحسار المد الإسلامي - إن صح هذا التعبير- مما أدى إلى أن يقل عدد المسلمين عن الأرقام التي أعطيت سابقًا ، إلا أن أكبر محاولة منظمة وموجهة لنشر الدعوة الإسلامية في اليابان هي التي قام بها أعضاء جماعة التبليغ في الهند وباكستان وبدأوها في أواسط الخمسينات من القرن العشرين الميلادي ، لقد عملوا على الاتصال بمن تبقى من المسلمين القدامى وبالمسلمين الذي أسلموا بعد المحاولات الأولى فأحالوهم من مسلمين سلبيين إلى دعاة متحركين ، ومن هؤلآء الذين أثر فيهم الحاج عمر ميتا أول مترجم مسلم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية ، وهذه الترجمة تمت تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي وتم طبع مائة ألف نسخة منها بأمر جلالة الملك فيصل - رحمه الله تعالى - .

[يتبع]

# الإسلام دين الاجتهاد والمبادرة إلى الأعمال الصالحة

بقلم : الأستاذ يسري عبد الغني عبد الله
باحث ومحاضر في الدراسات العربية والإسلامية - القاهرة

[يدعو الإسلام إلى الاجتهاد في الطاعات ، وإلى المبادرة بالأعمال الصالحة والبعد عن العوائق والقواطع ، وذلك من منطلق خشية الله والخوف منه خوفًا حقيقيًا واعيًا]

**يحفل** ديننا الإسلامي الحنيف بالحديث الهادي عن ثمرات الخوف من الله تعالى ، والاجتهاد الفعال في الطاعة ، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة حذرًا من القواطع والعوائق .

روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله -ﷺ- : « مَن خاف أدلج ، ومَن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

ومن (أدلج) بلغ المنزل : أدلج بسكون الدال من (الإدلاج) ، وهو السير أول الليل ، ويذهب بعض أهل اللغة إلى أن (الإدلاج) هو سير الليل كله ، ولعله الأنسب في هذا الحديث .

أما (ادَّلج) بتشديد الدال وفتحها فمعناه سار آخر الليل ، و (الدُّلجة) بتشديد الدال وضمها أو فتحها ، هي سير الليل كله اتفاقًا .

والخوف : هو المكروه أو المزعج الوارد على قلب الإنسان من أجل شئ مترقب مستقبلاً .

والسلعة : هي المتاع ، وغالية : أي رفيعة القيمة ، والجنة : هي دار





النعيم الدائم وطريقها المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، والاجتهاد في الطاعات .

نقول (وبالله التوفيق) : إن العادة جارية بأن من خاف فوات الرفقة في السفر ، وانقطاعه عن القافلة الراحلة ، بحيث يكون عرضة للوحشة بالانفراد ، أو مسّ الضر بالتخلف والانقطاع ، فإنه ينشط ويسير أول الليل أو الليل كله ليلحق بالقافلة ، وليبلغ المنزل الذي يقصده في أقرب وقت ممكن ، وأقل زمن ، مع الأمن والأمان ، إذًا المسافر ليلاً ، يقطع من المسافات الأرضية ما لا يقطعه المسافر نهارًا ، إذ المشاغل والحوائل تقل ، وقد يكون لكون الليل وهواه العليل دخل في ذلك النشاط أو الاجتهاد كأن الأرض تطوى للسائر ليلاً طيًا .

وهذا هو المعنى الحقيقي للسير الحسى ، وقطع المسافات الأرضية ، ولكن هذا المعنى ليس هو المراد في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وذكرناه آنفًا ، إذ لا مسافة حسية يقطعها السائر ليلاً ، للوصول إلى المنزل الحقيقي الخالد الدائم للمؤمن التقى الصالح وهو الجنة .

وإنما المراد المعنى المجازي بضرب من التشبيه والتقريب والتمثيل ، تمثيل المعقول بالمحسوس كي يتقرر ويتأكد في النفوس تمام التقرير ، ويرسخ كمال الرسوخ ، فالمراد المطلوب : إنما هو التشمير في طاعة الله الواحد الأحد ، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة ، حذرًا من العوائق والقواطع ، فهو مثل لطالب الآخرة وكون الشيطان وهو العدو على طريقه ، فإذا دأب واجتهد في الطاعة ، وثابر وصبر مدة أيامه القلائل ، فقد أمن

فيه الشيطان .

وقيل : إن المعنى من خاف الله تعالى ، هرب من المعاصي ، والأول أرجح عندنا .

نقول : إن المسافات التي يقطعها طالب الآخرة للوصول إلى الله تعالى ، أو الجنة : إنما هي مجاهدات نفسانية موروثة بالفضل الإلهي ، ويعين عليها الخوف الواعي من الله تعالى .

ذلك هو المراد من قول رسولنا الأكرم -ﷺ- : « مَن خاف أدلج ، ومَن أدلج بلغ المنزل » .

وكذلك الشأن في قوله -ﷺ- : « ألا إن سلعة الله غالية » والتي فسرها بالجنة عندما ، قال : « ألا إن سلعة الله الجنة » .

والكلام في ذلك -أيضًا- من باب التشبيه والتمثيل ، والمراد تصوير أعظم الجزاء في الدار الآخرة ، وهو دخول الجنة ، فينبغي ، بل يجب أن يقابله من العبد أعظم الاجتهاد في طاعة الله تعالى ورسوله الهادي الأمين .

إذ أن الجنة وهي دار النعيم الخالدة ، عزيزة غالية القدر والقيمة لا تنال إلا بالجهاد والاجتهاد في العمل والطاعة ، والصبر على الشدائد و المكاره في سبيل الله والدين والحق والعدل والفضيلة وكل القيم الأصيلة ، اقرأ قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة • ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢١٤] ، وقوله : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لمـــا يعلم الله الذين جـاهدوا منكم ﴾ . [سورة التوبة ، الآية : ١٦] .

والجنة أشبه بالعروس البارعة الجمال ، المتحلية بالخلق المرضى ،





وهي غالية المهر بالنسبة لمن هن دونها ، ومن يطلب الحسناء لا يهمه مهرها مهما كان غاليًا ، ولنقرأ قول الله تعالى في هذا المقام : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قول الرسول الكريم -ﷺ- : « حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات » .

والجهاد هنا يتناول جهاد العدو الخارجي ، وجهاد كل من يهدد أمن الدين وسلامته ، وأمن الوطن ، والشيطان ، وكذلك العدو الداخلي ، وهو النفس الأمارة بالسوء التي لا ترتقى إلى مرتبة النفس اللوامة أو النفس الآمنة المطمئنة ، النفس بأهوائها وشرورها وهو أعظم الجهاد ، ومن هنا أكد الرسول المعلم -ﷺ- في الحث عليه ، بأسلوب الاهتمام والإعظام للأمر حيث قال في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وذكرناه آنفًا : « ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

و « ألا » هنا أداة استفتاح ، استفتاح الكلام المهم والشأن العظيم الذي يأتي عقبها ، ولابد دون الشهد من إبر النحل ، والجزاء دومًا من جنس العمل .

أقول لكم : إن الحديث السالف حديث جليل وباب عظيم ، وركن ركين في فضل الخوف من الله الفرد الصمد وآثاره الطيبة ، وكم للخوف من الله تعالى من فضائل ومزايا لا تحصر ولا تعد ، نوه بها كتاب الله المجيد ، ومنها قوله سبحانه : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن

الجنة هي المأوى » [سورة النازعات ، الآية : ٤٠] ، وقوله : « ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد » [سورة ابراهيم ، الآية : ١٤] ، وقوله : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » [سورة الرحمن ، الآية : ٤٦] ، وقوله : « يجاهدون في سبيل الله • ولا يخافون لومة لائم » [سورة المائدة ، الآية : ٥٤] ، وقوله : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » [سورة النحل ، الآية : ٥٠] ، وقوله : « يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه » [سورة الإسراء ، الآية : ٥٧] .

كما نوهت السنة النبوية المطهرة بالخوف من الله تعالى ، ومزاياه وفضائله في العديد من الأحاديث المشرفة ، نذكر منها قوله -ﷺ- : « إن من عباد الله ناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء » ، والحديث القدسي : « وجبت محبتي للمتحابين فيّ » وحديث : « سبعة يظلهم الله في ظله » .

ومنها في كتاب الله تعالى الآيات العديدة .

هذا ، وكما أن الخوف من الله تعالى هو ثمرة الإيمان بالله العلي العظيم ، بما أنزل من كتاب مباركة ، وما أرسل من رسل ، فكذلك الخشية من المولى تعالى : هي ثمرة العلم بالله وصفاته وأحكامه وآياته وسنته في خلقه وتبصرته الإنسان بنفسه ، والخشية من الله ، هي خوف مع إجلال و ورع .

قال تعالى : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجرٍ كريم » [سورة ياسين ، الآية : ١١] .

والله ولي التوفيق ٧





# سياسة التجريم والعقاب

## في الفقه الجنائي الإسلامي

[الحلقة الثالثة الأخيرة]

سعادة الدكتور مصطفى عبد الرحيم آدم رشاش

### فلسفة العقوبة في الفقه الجنائي الإسلامي :

تهدف العقوبة عمومًا في نظر الفقه الجنائي الإسلامي إلى تحقيق ثلاثة أهداف ، وهي : العدالة ، وزجر الجاني وغيره عن ارتكاب الجريمة ، وإصلاح الجاني وجعله عضوًا صالحًا في المجتمع الذي يعيش فيه .

والمراد بالعدالة هو تحقيق العدالة بالنسبة للمجنى عليه ولذويه فيما إذا كانت الجريمة قد أفضت بحياته ، وتحقيق العدالة هنا يتمثل في معاقبة الجاني العقاب الذي يتلاءم مع جسامة الجريمة وشدة الألم الذي ألحقه فعله بالمجنى عليه ومن جانب آخر يجب أيضًا تحقيق العدالة بالنسبة للجاني نفسه ، وذلك بأن ينال من العقاب ما يتناسب مع فعله من غير تجاوز أو مغالاة أو تنكيل أو تمثيل به .

وفيما يتعلق بالزجر ، يُهدف من العقاب بأن تكون العقوبة بمثابة تحذير للجاني ولكل من تسول له نفسه خوض ذات المعترك الإجرامي من أفراد المجتمع وذلك بحيث يكون الألم الذي توقعه العقوبة بالجاني كافيًا لردع و زجر غيره عن ذلك التفكير الإجرامي ، ومن هذا تظهر لنا الفلسفة التي من أجلها قررت الشريعة الإسلامية أن تتم معاقبة الجناة في بعض الجرائم في مكان عام بحيث يشهد ذلك أكبر عدد من الناس لعل

مشاهدتهم هذه تجعلهم يقلعون عن ارتكاب مثل هذه الجرائم ، وبالتالي يتحقق هدف الزجر الذي ترمى إليه العقوبة في النظام الجنائي الإسلامي .

أما إصلاح الجاني ، فيتمثل في تقويمه خُلقيًا وإعداده روحيًا لأن يصبح عضوًا صالحًا في المجتمع بعد قضاء فترة العقوبة ، وذلك فيما إذا كانت العقوبة سجنًا ، لأننا اليوم نجد أن عقوبة السجن في ظل القوانين الوضعية السائدة الآن لا تخدم غرضًا ولم تؤد مطلقًا إلى الحد من درجة الإجرام ، لأن الجناة اليوم يوضعون في السجن حيث يجدون الخلية والمناخ الملائم لاستعراض وتبادل الخبرات والتجارب الإجرامية والتخطيط لقيام شبكات إجرامية دقيقة ومحكمة يكون تنفيذها رهينًا بخروجهم من السجن ، كما أنهم في داخل السجن يتناولون وجبات طعام موزونة من حيث القيمة الغذائية تكون كفيلة بأن تجعل منهم أكثر قوة وعنفًا ولا يبالون من ارتكاب أخطر الجرائم بعد قضاء فترة السجن ، دون اكتراث لتعاليم الدين وقيم المجتمع ومعاني الإنسانية ، وهذا كله لأنهم في ظل النظم القانونية الوضعية يفتقدون أبسط أنواع التوجيه والتربية الروحية والخُلقية التي من شأنها أن تجعلهم يقلعون عن هذا المسلك الإجرامي ، وتنتهي بهم إلى اتخاذ نهج قويم بعد قضاء فترة السجن ، مما يؤدى إلى نفعهم وبالتالي نفع المجتمع بأسره بكونهم جزءًا لا يتجزأ من أجزائه التي ينبغي أن تتضافر يدًا بيدٍ لتشييد صرحه والذود عن قيمه وأخلاقياته وأمن وسلامة أعضائه ، أي سلامة النفس والدين والعقل والمال والعرض .

ولهذا تولى السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي جانب إصلاح





الجناة قدرًا كبيرًا من الاهتمام والعناية ، وذلك بتكثيف برامج ومناهج التربية الروحية لنزلاء السجون ، لأن في صلاح الأخلاق صلاح المسلك والنهج ، هذا بجانب تدريبهم على المهن الحرة المختلفة التي تؤهلهم في مستقبل حياتهم بعد قضاء فترة السجن إلى طرق سبل الكسب الشريف الحلال والابتعاد عن مواطن الرذيلة والهلاك .

## الخاتمـــــة :

يتضح لنا جليًا ، على ضوء ما تقدم من استعراض لطبيعة العقوبة تحت السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي ، أن عقوبات الحدود تتميز بأنها غير قابلة لأي نوع من التسوية ، هذا بمعنى أنه ليس للمجنى عليه أو القاضي أو خليفة المسلمين بصفته رئيسًا للدولة أن يعفو عن المتهم الذي ثبتت ادانته في جريمة من جرائم الحدود .

أما عقوبات القصاص من جانب آخر ، فإنها قابلة للتسوية ، بمعنى أنه يجوز لكل من المجنى عليه شخصيًا أو وليه فيما إذا كانت الجريمة قد أدت إلى موته ، أن يعفو عن الجاني ، ويطلب الدية بدلاً عن القصاص ، بل يمكن أن يسقط الدية نفسها، ويلاحظ هنا أن الامام ، أي خليفة المسلمين ، لا يجوز له أن يستخدم سلطته بصفته رئيسًا للدولة أن يعفو عن الجاني الذي ثبتت ادانته في جريمة يعاقب عليها بعقوبة القصاص، لأن هذا الحق، أي حق العفو في جرائم القصاص خاص بالمجنى عليه أو وليه فقط ، غير أن للامام بصفته وليًا لمن لا ولي له ، أن يعفو عن الجاني الذي ارتكب جريمة من جرائم القصاص في حق الصغير الذي لا ولي له ، بشرط ألا يعفو عن الجاني كلية دون دفع تعويض مالي للصغير ، هذا بمعنى أن

للامام في مثل هذه الحالات سلطة العفو عن توقيع عقوبة القصاص والمطالبة بالعقوبة البديلة وهي الدية تدفع للصغير الذي تحت ولايته .

بينما عقوبات التعزير قابلة للعفو من حيث الأصل ، إذ يجوز لكل من المجنى عليه والامام - رئيس الدولة - أن يعفو عن الجاني في أي جريمة من جرائم التعزير بشرط ألا يعفو المجنى عليه عن الجاني الذي تمت ادانته في جريمة تعزيرية ألحقت ضررًا بأشخاص آخرين ، كما ليس للامام أن يعفو عن الجاني الذي تعلق بجريمته حق خاص بشخص آخر .

ويلاحظ أيضًا مما تقدم أن عقوبات الحدود لا يجوز إسقاطها أو تخفيفها أو استبدالها بعقوبة أخرى ، بينما نجد عقوبات القصاص ، من جانب آخر ، يمكن استبدالها بالدية بناء على طلب المجنى عليه أو ولي القتيل الذي أدت الجناية إلى موته ، وأما فيما يتعلق بعقوبات التعزير ، فالخيار متروك للقضاة لتوقيع أكثر العقوبات ملاءمة لتحقيق الهدف الذي ترمى إليه فلسفة العقوبة في النظام الجنائي الإسلامي .

وفيما يتعلق بالأهداف التي ترمى إليها السياسة العقابية في الفقه الجنائي الإسلامي ، من خلال أنواع العقوبات الثلاث التي تقدم بيانها وهي عقوبات الحدود والقصاص والتعزير ، فيمكن إجمالها في الآتي :

**أولاً :** مراعاة توقيع العقوبة التي تتناسب مع حجم الجريمة المرتكبة ، من غير تجاوز أو مغالاة .

**ثانيًا :** يهدف من معاقبة الجاني إلى ردعه عن معاودة الجريمة وزجر غيره ممن لديهم نزعات إجرامية عن الاقدام لتنفيذ مخططاتهم العدوانية ، وتحقيقًا لهدف زجر الغير هذا ، تقرر في السياسة العقابية الإسلامية





توقيع بعض العقوبات على الجناة في مكان عام بحيث يتمكن أكبر عدد من الناس من مشاهدة ذلك .

**ثالثًا :** يرجى من معاقبة الجاني إصلاحه وإعداده ليصبح عضوًا صالحًا في المجتمع ، والمراد بالإصلاح هو الإصلاح الروحي والأخلاقي على ضوء أحكام وتعاليم الشريعة الإسلامية ، لأن الإصلاح الروحي والأخلاقي هو الوسيلة الوحيدة التي تؤدى إلى انخفاض معدل الجريمة في المجتمعات ، إذ بغياب مثل هذا الإصلاح والتربية في السياسة العقابية الوضعية نجد الجريمة دائمًا في ازدياد مضطرد بدلاً من انحسارها والقضاء على مسبباتها .

**رابعًا :** شرعت العقوبات في الفقه الجنائي الإسلامي أساسًا لحماية المقاصد التي عنيت الشريعة الإسلامية بصونها ورعايتها ، وهي حفظ النفس والدين والمال والعقل والنسل ، لأننا إذا نظرنا إلى كل الجرائم التي تقدم ذكرها وهي الزنا والقذف وشرب الخمر والسرقة وقطع الطريق والبغي والردة وجرائم القتل والاعتداء على جسم الإنسان نجدها كلها تتعلق بهذه المقاصد الخمسة .

+!+!+!+

دراسات وأبحاث

# نظام الحكومة
# في عهد النبي الكريم -ﷺ-

العلامة السيد سليمان الندوي - رحمه الله تعالى -
تعريب : عبد الباسط شرف الدين الندوي

[الحلقة الثالثة]

إن الأمراء والعمال هم في الحقيقة نائبون للسلطان والخليفة ، فكل انتقاد أو اعتراض يُوجّه إليهم إنما يتوجه في الأصل إلى الخليفة والسلطان ، ففي عهد النبي الكريم -ﷺ- كان الناس يأتون إليه -ﷺ- ويشكون عمالَه ، والنبي -ﷺ- لا يُسكتهم بتنفيذ مادة من مواد القانون للدفاع عن الحكام والعمال ، بل كان يتناول كليهما ويسعهما بالنصح وحسن الأخلاق ، فمرة جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله -ﷺ- فقالوا : « إن أناسًا من المصدقين يأتوننا فيظلموننا ، فقال رسول الله -ﷺ- : أرضوا مصدقيكم » (١) ، وقال للحكام والعمال : « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله -عزوجل- حجابٌ » (٢) .

وأشد من كل ذلك المناسبات التي كان الناس يأتون فيها إلى النبي -ﷺ- ويشددون ويغلظون عليه -ﷺ- في الطلب ، والنبي -ﷺ- يجود ويلطف معهم أيضًا ، بل كان يجزل رفدهم ، قد أدركه -ﷺ- أعرابي فجبذه بردائه فحمر رقبته فالتفت ، فقال له الأعرابي : احمل لي على بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك ، فقال النبي





-ﷺ- : لا واستغفر الله ، لا ، واستغفر الله ، لا ، واستغفر الله لا أحمل لك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني ، فكل ذلك ، يقول له الأعرابي : والله لا أقيدكها ، [فذكر الحديث] ثم دعا -ﷺ- رجلاً ، فقال له : احمل له على بعيريه هذين : على بعير شعيرًا ، وعلى الآخر تمرًا » (٣) .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : جاء أعرابي إلى النبي -ﷺ- يتقاضاه دينا كان عليه فاشتد عليه حتى قال له : أحرّج عليك إلا قضيتني ، فانتهره أصحابه ، وقالوا : ويحك تدري من تكلم ، قال : إني أطلب حقي ، فقال النبي -ﷺ- : هلا مع صاحب الحق كنتم ، ثم أرسل إلى خولة بنت قيس ، فقال لها : إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك ، فقالت : نعم بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه ، فقال : أوفيت أوفى الله لك » (٤) .

و عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ابتاع رسول الله -ﷺ- من رجل من الأعراب جزروا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ، وتمر الذخرة العجوة ، فرجع به رسول الله -ﷺ- إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده ، فخرج إليه رسول الله -ﷺ- فقال له : يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزورًا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة فالتمسناه فلم نجده ، قال : فقال الأعرابي : واعذراه ، قالت : فنهمه الناس ، وقالوا : قاتلك الله أيعذر رسول الله -ﷺ- ، قالت : فقال رسول الله -ﷺ- : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً ، ثم عاد له رسول الله -ﷺ- ، فقال : يا عبد الله ، إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمينا لك فالتمسناه فلم نجده ، فقال الأعرابي : واعذراه ، فنهمه الناس ، وقالوا قاتلك الله

أيعذر رسول الله -ﷺ- ، فقال رسول الله -ﷺ- دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، فردد ذلك رسول الله -ﷺ- مرتين أو ثلاثًا ، فلما رآه لا يفقه عنه ، قال لرجل من أصحابه اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية ، فقل لها رسول الله -ﷺ- يقول لك : إن كان عندك وسق من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله فذهب إليها الرجل ثم رجع الرجل ، فقال ، قالت : نعم هو عندي يا رسول الله -ﷺ- فابعث من يقبضه ، فقال رسول الله -ﷺ- للرجل : اذهب به فأوفه الذي له قال : فذهب به فأوفاه الذي له ، قالت : فمر الأعرابي برسول الله -ﷺ- وهو جالس في أصحابه ، فقال : جزاك الله خيرًا فقد أوفيت وأطيبت (٥) .

هكذا كان أخلاقه -ﷺ- مع المسلمين ، ولكن أبلغ وأعظم من كل ذلك أخلاقه التي عامل بها اليهود و واجه بها معاملاتهم السيئة وإساءتهم إليه -ﷺ- مع أنهم كانوا ذميين في رعاياه ، فهذا زيد بن سعنة - رضي الله عنه - كان يهوديًا ولكنه أسلم إعجابًا بأخلاق رسول الله -ﷺ- فلنتركه يروى قصته : « فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله -ﷺ- في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ، ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فو الله ما علمتكم بَني عبد المطلب بمَطْلٍ ولقد كان لي بمخالطتكم علم ، قال : ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدور ان في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره ، وقال : أي عدو الله أتقول لرسول الله -ﷺ- ما أسمع وتفعل به ما أرى ، فو الذي بعثه بالحق لو لا ما أحاذر





فوته لضربت بسيفي هذا عنقك ، ورسول الله -ﷺ- ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَة ثم قال : إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعًا من غيره مكان ما رُعته » (٦) ، فتأثر زيد بن سعنة من حكم رسول الله -ﷺ- هذا وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله -ﷺ- وآمن به وصدقه .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « كان على رسول الله -ﷺ- ثوبان قطريان غليظان فكان إذا قعد فعرق ثقلا عليه ، فقدم بز من الشام لفلان اليهودي فقلت لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة ، فارسل إليه فقال : قد علمت ما يريد ، إنما يريد أن يذهب بمالي أو بدراهمي ، فقال رسول الله -ﷺ- : كذب قد علم أنى أتقاهم وأداهم للأمانة » (٧) .

والغرض من ذكر هذه الوقائع والأحداث أن النبي -ﷺ- مع كونه نبيًا كان أميرًا للمسلمين أيضًا ، ومن أجل كونه -ﷺ- أميرًا ، اشتد الناس عليه وانتقدوه وأغلظوا له القول ولكنه -ﷺ- تحمل كل ذلك وعفا عنهم ، ثم حكم في القضية أو بينها للناس وأقنعهم ، فقارنوا بين أمير الإسلام وأمراء العصور وسلاطينها الذين يعذبون بسبب كبرهم وصلفهم ، رعاياهم على أدنى إساءة عذابًا أليمًا رادعًا ، ويسمح لهم بذلك قانونهم أيضًا ، بل أكبر من كل ذلك أن مادة قوانينهم الأولى تنصّ على أن الأمير إنما هو فوق كل قانون ، وأرفع من كل مؤاخذة ومحاسبة ، لأنه فوق كل مؤاخذة ، أما في الإسلام فلا فرق بين الأمير والمأمور ، والحاكم والمحكوم ،

والراعي والرعية ، بل كلهم سواسية في عين القانون الإسلامي .

ومن المعلوم حقًا أن النبي -ﷺ- كان معصومًا بريئًا ، فلا يصدر منه قول ولا فعل يتجاوز الحدود بل كان كل فعله وقوله حسنًا جميلاً ، وكان يكفي للحرمان من الإيمان وللدخول في النار قليل من الإساءة إليه -ﷺ- ، ولكن مع كل ذلك أذن النبي -ﷺ- لكل شخص أن يسأله عن أموره الشخصية والدولية ، لكي تكون فيه -ﷺ- لأمراء الإسلام بعده أسوة حسنة ودرس عملي لهم ، فكان النبي -ﷺ- يتحمل ذلك بغاية من الشفقة والرحمة لكي لا يمنع الأمراء والحكام الذين يأتون بعده رعاياهم عن الاستفسار وإظهار آرائهم ، ولا يغلقوا عليهم أبوابهم .

والدول التي كانت ذات حضارة في العهد النبوي كانت منها دولة إيران التي لم يخطر على بالها أبدًا أن يواجه السلطان أحد بالسؤال أو الاعتراض ، ويُزعم أن اليونان والروم كان فيهما حكم ديمقراطي في زمن ، ولكن ما كانت هذه الديمقراطية إلا للأمراء فقط ، وما كانت لها أي علاقة بالجماهير ، ولم يكن للناس حق في سؤال أو استفسار ، فلم يكن أمراؤهم وحكامهم متواضعين ولا كانوا أصحاب حلم وعفو أو على منزلة من الأخلاق بل وكانوا لا يستطيعونها ولا يستطيعون أن يتصوروا مثل هذا الإخلاص والصدق وطهارة الأخلاق ، فأرفع شئ يمكنهم أن يتصوروا أن وطنهم كان معبودًا لهم ، فكانوا يعبدونه ويفدونه بمهجهم وأرواحهم ، وكان وطنهم هذا محدودًا في دائرة محدودة ، ولكن الإسلام هو المذهب الوحيد الذي قدم أمام العالم أسوة لمنزلة الأمير القانونية على حد سويّ ، والعالم كان يجهلها من قبل ، فتدبروا هذه الحقيقة وهذا الواقع من





ناحية أخرى ، وهي أن هذا الاستفسار والسؤال ما كان من الأمير فحسب بل كان ذلك من الرسول المقدس -ﷺ- الذي بلغت محبته في قلوب المسلمين إلى غاية لا تدرك ، وما كانت منزلته -ﷺ- منزلة الأمير والحاكم فحسب ، وإنما كانت أكبر منها وأرفع ، ذاك أنه -ﷺ- كان رسولاً معصومًا عن الخطأ ونبيًا طاهرًا - صلوات الله وسلامه عليه - .

وأما استشارة النبي -ﷺ- المسلمين في أمور الدولة والإمارة ، فالحق أن عقيدة المسلمين في النبي -ﷺ- هي أنه -ﷺ- كان أرفع الناس وأعلاهم وأذكاهم في العقل والعلم والفهم والذكاء والفراسة عدا الوحي من الله تعالى ، فالظاهر أن الذي يكون على هذه المنزلة من العلم والعقل والذكاء والفهم لا يحتاج إلى الاستشارة في الأمور مع من هو دونه ، ولكنه -ﷺ- كان يتشاور مع أصحابه - رضوان الله عليهم أجمعين - لوجهين :

**أولاً :** لتشجيع قلوبهم . و **ثانيًا :** لأن كل عمله -ﷺ- يصبح قانونًا للشريعة ومنهجًا للدين فيكون تشاوره -ﷺ- مع أصحابه أسوة للأمراء والخلفاء الذين يأتون بعده -ﷺ- وقد أمره الله تعالى بذلك فقال : ﴿ و شاورهم في الأمر﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] فعمل به النبي -ﷺ- وأمر المسلمين بالعمل به أيضًا ، فعملوا به فمدحهم الله تعالى فقال : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [سورة الشورى ، الآية : ٣٨] .

وإن لم يكن في عهد النبوة جميع أقسام الحكومات وإداراتها وما كانت الحاجة دعت إليها ولكن مع ذلك نرى باستقراء الأحاديث وتتبعها أن النبي -ﷺ- تشاور مع أصحابه - رضوان الله عليهم - في عديد من الأمور المهمة للحكومة وعمل برأيهم ، فما كان الغرض منه إلا أن يعلم

الناس بأن الشورى فيما بينهم للإصابة إلى غاية صحيحة مما يُستحسن جدًا ، وإلا فالظاهر أن النبي -ﷺ- ما كانت له حاجة إلى ذلك .

وكان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة دون أن ينادى بها أحد ، فتكلموا يومًا في ذلك ، وفي رواية : ائتمر النبي -ﷺ- وأصحابه كيف يجعلون شيئًا إذا أرادوا جمع الصلاة اجتمعوا لها (٨) ، فقال بعضهم لبعض : اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قَرْن اليهود ، وفي رواية : قيل له انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضًا فلم يعجبه ذلك (٩) ، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة ، فقال النبي -ﷺ- : يا بلال ! قم فأذن بالصلاة (١٠) ، وكان اللفظ الذي ينادى به بلال للصلاة قوله « الصلاة الجامعة » (١١) ، ثم أتى النبي -ﷺ- آت في المنام ، فقال له : مر النبي -ﷺ- يأمر رجلاً عند حضور الصلاة فليؤذن فليقل : الله أكبر .. إلخ ، أي هذا الأذان المشروع (١٢) : وبفيض تأثير صحبة النبي -ﷺ- أري بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - أيضًا في المنام كعبد الله بن زيد الأنصاري ، وعمر بن الخطاب وغيرهما وأخبروا النبي -ﷺ- عنه فشرعه النبي -ﷺ- وأمر بلالاً أن يؤذن مثل ما رأى في المنام (١٢) .

وفي غزوة بدر ارتحل النبي -ﷺ- و وصل قريبًا من ساحة القتال ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ولكن





اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله -ﷺ- خيرًا ودعا له (١٤) ثم ارتحل -ﷺ- ومضى بالناس ونزل بمقام ، فقال الحباب بن منذر بن الجموح : يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال يا رسول الله ! فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فنزله ، ثم نغور ما وراءه من القليب ، ثم نبنى عليه حوضًا فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله -ﷺ- : لقد أشرت بالرأي (١٥) ، وعمل -ﷺ- برأيه ونزل المقام الذي أراه هو .

وكما كان يوم بدر وجئ بالأسارى قال رسول الله -ﷺ- ما تقولون في هؤلآء الأسارى (١٦) فرأوا آراءهم ، فعمل رسول الله -ﷺ- برأي أبي بكر فأخذ منهم الفداء وفلتهم .

وكذلك في غزوة أحد استشار النبي -ﷺ- أصحابه في الخروج من المدينة أو أن لا يخرج منها ويقيم بها ويقاتلهم فيها ، وكان رسول الله -ﷺ- يكره الخروج ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول يرى رأيه في ذلك فأشار أن لا يخرج إليهم ويقيم بالمدينة ، فقال رجال من المسلمين : ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ممن كان قد فاتته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنّا عنهم وضعفنا ، فما زالوا برسول الله -ﷺ- حتى لبس رداءه ثم ندموا ، وقالوا : يا رسول الله أقم فالرأي رأيك ، فقال لهم : ما ينبغي لنبي أن يضع رداءه بعد ما لبسها

حتى يحكم الله بينه وبين عدوه (١٧) فاستشارته -ﷺ- وعمله برأي أصحابه خير نموذج للشورى في أمور الدولة والحكومة .

وإن رسول الله -ﷺ- قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله -ﷺ- : معي من ترون ، وأحبُ الحديث أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ... قالوا : فإنا نختار سبينا ،فقام رسول الله -ﷺ- في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال أما بعد : فإن إخوانكم قد جاؤنا تائبين ، وإني قد رأيت ان أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يُفِئُ الله علينا فليفعل ، فقال الناس : قد طَيَّبْنَا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله -ﷺ- : إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله -ﷺ- فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا (١٨) .

فهناك كثير من الأمثلة في الأحاديث النبوية تُثبت أن النبي -ﷺ- كان يتشاور مع أصحابه في أمور الدولة الإدارية ويعمل برأيهم إن أحبه .

ومن فيوض الإسلام وبركاته أنه جعل القيام بالدولة وقوانينها عبادة وديناً ، فالحياة التي تمثل البهيمية والوحشية والخدعة والدسيسة والمكر والمكيدة والظلم والجور والإثم والعدوان فهي تعتبر من شأن السياسة ، ويزعمون أن كل إثم في سبيلها هو الصواب ، ولكن تعاليم الإسلام جعلت السياسة مسئولية طيبة رفيعة عالية حتى أصبحت ظل الله في الأرض ، فروى عن عديد من الصحابة - رضوان الله عليهم -





« السلطان ظل الله في الأرض ، يأوي إليه كل مظلوم من عباد الله (١٩) » ، وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : « السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض (٢٠) » ، وقد ثبت أيضًا عن النبي -ﷺ- قال : سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل .. إلخ (٢١) .

فالذين يقومون بأمور السلطنة والدولة بحسن أخلاقهم وبرّهم فهم يُجزون عند الله أحسن ما كانوا يعملون مثل عباداتهم الأخرى ، فالقيام بالدولة والحكومة عبادة كذلك ، ومن ثم كانت الدولة من عوامل الصلاح والعز والقوة والفضيلة التي قضت على جميع أنواع الظلم والجور والخيانة في المجتمع الإسلامي ، كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله : الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فنظروا فإذا عمرو بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية فسأله ، فقال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء ، فرجع معاوية - رضي الله تعالى عنه - » (٢٢) .

[يتبع]

---

**الهوامش :**

(١) الجامع الصحيح للإمام مسلم كتاب الزكاة ، باب إرضاء السعاة : ٢/٢٢٠ .

(٢) المسند للإمام أحمد : ٢٢٢/١ ، والجامع الصحيح للبخاري كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد إلى الفقراء : ٢٠٢/١ .

(٣) السنن للإمام أبي داؤد ، كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي الكريم -ﷺ- : ٢٤٨/٤ طبعة دار الحديث - القاهرة .

(٤) السنن لابن ماجة ، كتاب الصدقات ، باب لصاحب الحق سلطان : ٨١٠/٢ .

(٥) المسند للإمام أحمد بن حنبل : ٢٦٨/٦ .

(٦) صحيح ابن حبان : ٢٠٠/١ ، كتاب البر والإحسان ، ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه .. إلخ ، وفي هذا الحديث قصة لإسلام زيد بن سعنة - رضي الله عنه - مفصلاً .

(٧) الجامع للإمام الترمذي ، أبواب البيوع ، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل : ٢٣٠/١ .

(٨) مراسيل أبي داؤد ، باب ما جاء في الأذان : ص/٦ ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٧٧/٢ .

(٩) السنن لأبي داؤد : ٧١/١ ، وفتح الباري : ٧٧/٢ .

(١٠) فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٧٧/٢ ، و الجـــامع الصحيح لمسلم : ١٦٤/١ .

(١١) فتح الباري : ٨٢/٢ .

(١٢) مراسيل أبي داؤد ، باب ما جاء في الأذان .

(١٣) وقال الإمام النووي في شرح مسلم : فشرعه النبي -ﷺ- بعد ذلك إما بوحي أو باجتهاده -ﷺ- على مذهب الجمهور في جواز الاجتهاد له -ﷺ- ، وليس هو عملاً بمجرد المنام ، هذا ما لا شك فيه بلا خلاف والله أعلم (مسلم شرح نووي : ١٦٤/١) باب بدء الأذان .

(١٤) البداية والنهاية : ٢٦٣/٢ ، غزوة بدر العظمى .

(١٥) البداية والنهاية : ٢٦٧/٢ ، غزوة بدر العظمى .

(١٦) الجامع للإمام الترمذي ، كتاب التفسير ، سورة الأنفال : ١٢٩/٢ .





(١٧) سيرة ابن هشام : ١٤٩/٢ ، طبقات ابن سعد : ٢٨/٢ ، البداية والنهاية : ١١/٤ .

(١٨) الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : ويوم حنين : ٦١٨/٢ .

(١٩-٢٠) هاتان الروايتان من أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - ولم تُرفعا إلى النبي -ﷺ- فروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، والبيهقي والحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ، وابن أبي شيبة عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مع اختلاف الألفاظ ، انظروا المقاصد الحسنة للسخاوي وكشف الخفاء ومزيل الالتباس لعطاء حلبي .

و « السلطان » في اللغة العربية القديمة ليس معناه « الملك » بل معناه القوة والطاقة أي فإنه مرادف للحكومة والسلطة ، فليس هنا معنى الحديث أن الملك هو ظل الله في الأرض بل معناه أن نظام الحكومة العادل هو ظل رحمة الله سبحانه وتعالى لراحة مخلوقه سبحانه ورخائهم ، إلا أنه يجوز إطلاق « السلطان » على عمال الحكومة أيضًا بحيث أنهم وكلاء الحكومة ونائبوها كما ورد في الحديث « السلطان ولي من لا ولي له » فالمراد هنا بالسلطان السلطنة ، فكل من كان وكيلاً للحكومة كالقاضي ، والحاكم ، والولي فهو السلطان ، ولعله بدأ استعمال السلطان بمعنى الملك من عصر السلطان محمود في القرن الرابع الهجري .

(٢١) المسند للإمام أحمد : ٤٢٩/٢ ، والبخاري كتاب المحاربين ، باب من ترك الفواحش : ١٠٠٥/٢ .

(٢٢) السنن للإمام أبي داؤد ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير نحوه : ٣٨٩/٢ .

# أدوار حاسمة للمرأة المسلمة في التاريخ

فضيلة الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي
أستاذ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء

[الحلقة الثانية الأخيرة]

## كلا والله لا يخزيك الله أبدًا :

إنها زوجة رسول الله -ﷺ- الأولى وهي أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - التي بلغت الذروة العالية والقمة الشامخة من حصافة الفكر ورجاحة العقل والرسوخ في المجالين الثقافي والخلقي ، بدأت توازر رسول الله -ﷺ- وتشاطر همومه وأحزانه وتذلل له صعوبات أعباء النبوة وتزيل عراقيلها وتسهل عليه تحمّل الوحي ومقابلة جبريل ، ولما أخبرها رسول الله -ﷺ- الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي (١) ، فعنيت به وهونت عليه في ضوء تجاربها ، وقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك تصل الرحم و تحمل الكل و تكسب المعدم و تقرى الضيف و تعين على نوائب الحق (٢) .

إن كل كلمة من هذه الكلمات تحمل في طيها معاني لطيفة ومفاهيم عالية تدل على علو كعبها في علم الأخلاق وعلم النفس فإنها قشعت وبددت سحب الهموم والأحزان التي غشيته في صورة الخشية على النفس ، وجعلته مرتاح البال قرير العين ، مطمئن النفس ، حتى قام بالدعوة إلى الله -عزوجل- سرًا وجهرًا .

---

(١-٢) رواه البخاري باب بدء الوحي : ص/٣ .





## انحر بدنك ولا تكلم أحدًا :

زوجة رسول الله -ﷺ- الأخرى أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - التي كانت رفيقة السفر في الحديبية التي كان فيها الصلح الذي تحمله المسلمون على غصص ، [أخرج البخاري] « فلما فرغ المسلمون من قضيته الكتاب ، قال رسول الله -ﷺ- لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا « قال » فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله ! أتحب ذاك ، أخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا (١) » فإنها قامت لحل هذه العقدة بحكمة ليست فوقها حكمة ودلت على طريقة تليق بشأنه الكريم وتناسبهم ، نظرًا إلى ذلك الحب العميق الذي كان الصحابة يتمتعون به ، والسمع والطاعة الذي كانوا قد تربوا عليه .

## المرأة كالداعيـــة :

**كل مصيبة بعدك جلل :** عاد المسلمون إلى المدينة من معركة أحد فمروا بامرأة من بني دينار وقد استشهد زوجها وأخوها وأبوها في هذه المعركة ، فلما نعوها قالت : ما فعل رسول الله -ﷺ- قالوا : خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه فأشير

---

(١) رواه البخاري ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب : ج/١ ، ص/٣٨ .

لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

وهي كانت متمتعة بذلك الحب الطاهر والحب الصادق الذي إذا دخل شغاف القلب وامتزج باللحم والدم حوّل التراب تبرًا والطين إكسيرًا ، هذا هو الحب الذي يجعل الضعيف قويًا والقوى بطلاً مغوارًا باسلاً ، ويجعل المرأة ليثًا ثائرًا وأسدًا مزيرًا ، فكانت هذه المرأة ضعيفة ، ولكن قلبها كان عامرًا بذلك الحب الطاهر ، كانت ممتحنة ، ولكن صدرها كان منشرحا برؤية محيا الحبيب -ﷺ- ، حتى انطلق لسانها بذلك الكلام العجيب الذي كان حاملاً المعاني اللطيفة للحب الطاهر ، كما كان مشيرًا ما يكن صدرها من إجلال وتوقير لسيد المرسلين وعن عواطف التضحية والفداء في سبيله حتى بزوجها وابنها وأخيها .

**هذا من عند الله . رزقًا رزقنيه الله :**

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى : « أسلم زوج أم شريك وهي غزية بنت جابر الدوسية من الأزد وهو أي زوجها أبو العكر فهاجرًا إلى رسول الله -ﷺ- مع أبي هريرة من دوس حين هاجروا ، قالت أم شريك : فجاءني أهل أبي العكر ، فقالوا : لعلك على دينه ، قلت : أي والله إني لعلى دينه ، قالوا : لا جرم والله لنعذبنك عذابًا شديدًا ، فارتحلوا بنا من دارنا ونحن كنا بذي الخلصة وهو موضعنا ، فساروا يريدون منزلاً وحملوني على جمل ثفال شر ركابهم وأغلظه يطعموتي الخبز بالعسل ولا يسقوني قطرة من ماء حتى إذا انتصف النهار وسخنت الشمس ونحن قائظون أي من أشد أيم الحر والقيظ ، فنزلوا، فضربوا أخبيتهم أي خيامهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري ، ففعلوا بي





ذلك ثلاثة أيام ، فقالوا : اليوم الثالث أتركى ما أنت عليه ، قالت : فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة فأشير بأصبعي إلى السماء بالتوحيد فو الله إني لعلى ذلك وقد بلغني الجهد أي التعب الشديد والتهالك من العطش وشدة الحر إ وجدت بردَ دَلو على صدري فأخذته فشربت منه نفسًا واحدًا ثم انتزع مني فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض ، فلم أقدر عليه ثم دُلّي إلي ثانية فشربت منه نفسًا ثم رفع فذهبت انظر فإذا هو بين السماء والأرض ، ثم دُلّي إلي الثالثة فشربت منه حتى رويت وأهرقت على رأسي و وجهي وثيابي ، فخرجوا فنظروا فقالوا : من أين لكِ هذا يا عدوة الله ، فقلت لهم : إن عدوة الله غيري من خالف دينه ، أما قولكم من أين هذا ، فهذا من عند الله ، رزقًا رزقنيه الله فانطلقوا سراعًا إلى قربهم وأداواهم ، فوجدوها مؤكاة مربوطة ، لم تحل ، فقالوا : نشهد أن ربك هو ربنا وأن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذي شرع الإسلام فأسلموا جميعًا وهاجروا إلى رسول الله -ﷺ- وكانوا يعرفون فضلى عليهم وما صنع الله إليّ » (١) .

هذه أم شريك التي بقيت غريبة في وطنها ضاقت عليها الأرض وتنكرت وقد احتضنتها من ذي قبل و وسعتها دارها ، وعادت قبيلتها عدوة لها ، وقد أحبها وزوجها ، لأنها آمنت بالله ورسوله وأعلنت كلمة التوحيد وشهدت شهادة الحق فحملوا عليها حملة رجل واحد وقذفوها متعطشة في قاحلة جرداء ولكنها تصلبت قائمة على الحق ، فأنعم الله

(١) طبقات ابن سعد : ج/٨ ، ص/١٥٥-١٥٦ .

عليها من فوق سبع سماوات وترققت لها قلوب قبيلتها فعرفت الحق ونطقت بالشهادتين وآمنت بالله ورسوله على بكرة أبيها .

فالمرأة رغم وحدتها وغربتها تقدر أن تكون كالجبال الراسيات في استقامتها وثباتها على الحق وفي تغييرها مجرى التاريخ وتيار الحياة وفي إحداث ثورة عظيمة في المجتمع وإن كان هذا المجتمع قائمًا على الجاهلية العمياء .

فهذه الطبقة طبقة الإناث لا تزال تتأرجح بين كفتي الإفراط والتفريط منذ قديم الزمان وقد مرت عليها أيام كانت تعتبر فيها وصمة عار وعلامة جهل واختلاق ، وشعار حمق و وسيلة فساد ودمار ، حتى طلعت شمس الإسلام من أفق تهامة فألقت أشعتها على المناطق كلها ، فتنورت ، فأحلها الإسلام محلها ، وعاد بها إلى مقامها وأعطاها الحق الذي سلب منها .

وضع عليها هالة التقديس والكرامة مرة ، وأشار إلى ما فيها من لطافة وجمال مرة أخرى ، كما أمر الرجال بالملاطفة والترفق بها مرة وآداء حقها والقيام بتربيتها وتعليمها مرة أخرى ، فأعلن النبي -ﷺ- ا الجنة تحت أقدام الأمهات ، وقال رجل : يا رسول الله -ﷺ- من أحق بحسن صحابتي ، قال : أمك ثم أباك ثم أدناك ثم أدناك [متفق عليه - مشكاة المصابيح : ج/٢ ، ص/٤١٨] .

وأوصى الناس جميعًا بقوله : استوصوا بالنساء خيرًا (١) وأمر بالترفق بهن ، فقال : ارفق يا أنجشة بالقوارير (٢) كما أمر ولاة أمرهن

---

(١) رواه البخاري : ج/٢ ، ص/٧٧٩ .  (٢) بخاري باب الأدب .





أن يقوموا بتربيتهن والإنفاق عليهن ، فقال : من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله (الجنة) وقال : من عال جاريتين ، حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ، وضم أصابعه (١) ، وهناك آثار كثيرة في كتب الأحاديث التي سجلها المحدثون بدقة وأمانة عن المرأة .

**المرأة في عهدها الجديد :** ظهرت جاهلية القرن العشرين بنعرة جديدة وثوب جديد ، وطلبت استقلال المرأة وحريتها ، كأنها كانت في سجن مظلم أو جوّ مطبق - وتولى كبرها الغرب ، المشرق الوجه ، المظلم القلب ، المبتسم الثغر المضطرب الباطن - وصاحت بالتسوية بين الرجال والنساء بالاختلاط وإحلالها في المناصب وتوظيفها ، والسفور الكامل لها في الشوارع والطرقات فانخدت بها وقلدت الموضات التي يعلنها الغرب حتى استنكفت كثير منهن الزواج لأنه حجر عشرة في سبيل الاستقلال والحرية ، فآل الأمر إلى أنه بلغ عدد النساء اللاتي أصبحن فريسة حوادث الجنس في أمريكا في عام واحد ، يتراوح بين ست مائة ألف وسبع مائة ألف ، كما تفيد وكالات الأنباء في أمريكا ، أما التسفل في الأخلاق والميوعة والشذوذ الجنسي ، فقد أصبح موضة العصر الحديث وكالثمار اليانعة التي يتناولها أهل الغرب ، فنشأت مجتمعات تئن تحت وطئتها الإنسانية نساءً ورجالاً ، أطفالاً وأولادًا ، بنين وبنات .

هؤلآء الناس يتناولون أقراص النوم ويتعاطون المسكرات

---

(١) رواه مسلم .

والمخدرات لأن زوجاتهم خدعنهم وفررن إلى الآخرين انسياقًا مع اللذات والشهوات ، فأصبحن كالكرة الجنسية يتداولها المتنعمون ويتراكل بها المتلاعبون ، ويتسلى بها المتمتعون ، ثم يرمونها في سلة المهملات لا رحمة في قلوبهم ولا هوادة في نفوسهم إنما هم عبيد الشهوات واللذات ، والمعدة والمادة ، فقست قلوبهم وجفت نفوسهم .

وهؤلاء الأطفال الصغار والكبار الذين وُجدوا في المنتزهات والطرقات ، أو تركتهم أمهاتهم في المستشفيات أو عاشوا في البيوت الخاليات ، ما ذاقوا حلاوة الأمومة وشفقة الأبوة ، وما عرفوا وشائج الأسرة وعلاقات القربى ولم يألفوا رحمة الآباء وشفقة الأمهات .

أما البنات والبنون الذين سجلوا أسماءهم في الجامعات والكليات ، فهم الطلقاء الاحرار يأتون بكل ما تملى عليهم إرادتهم ، ويرتكبون كل جريمة توحي إليها نفوسهم ، ويريدون أن يصلوا في أقرب فرصة إلى ما وصل إليه كبراؤهم في مدة طويلة .

إن هذه التسفلات التي وصلت إليها المجتمعات الغربية أصبح الرجوع عنها وهمًا من الخيال وضربًا من المحال ، فبدأ المصابون بها يبذلون قُصارى جهودهم لنشر أدوائهم في العالم كله ، فعقدوا لأجل ذلك مؤتمرين ، مؤتمرًا في مصر ، ومؤتمرًا في الصين ، اللذين باءا بالفشل والخيبة وأخفقا في تحقيق أحلامهم اللذيذة .

**دور المرأة في الحجاب أكبر من دورها في السفور :**

إن المرأة السافرة التي تفتخر بالقرن العشرين باعتباره قرن الرقى والازدهار، وقرن التنور والاستقلال، أصبحت تعترف بافتتانها المعاكس .





وانخداعها المعادي ، لأن التاريخ الذي سجله المؤرخون ، إنما يدل على أن المرأة الحديثة دورها ضئيل في صنع الرجال والتاريخ ، وأنها لم تلعب دورًا كبيرًا في مجالات الحياة في العصر الحاضر ، حتى لم تبلغ إلى تلك الوظائف الحكومية والمراتب الإدارية العليا (١) ، التي يشغلها الرجال في تلك الدول التي رفعت راية استقلال المرأة وحريتها .

أما النسوءة اللاتي لم يخرجن سافرات مبترجات كتبرج الجاهلية الأولى فإنهن قدّمن نماذج رائعة وضربن أمثلة رائقة لطبقتهن من الإناث ، فإنك لو سرحت طرفك وأنعمت النظر في الأسباب والدوافع التي أنجبت الرجالات والابطال المفاوير ، والمشايخ الربانيين ، والملوك العادلين ، والعلماء الراسخين ، المجاهدين الباسلين ، لوجدت تلك الأيادى الطاهرة الأمينة الدافعة القوية امحركة في صورة أمهات في أكثر الأحيان وفي صورة الزوجات في بعض الأحيان .

---

(١) حرمين غرير امرأة استرالية نالت صيتًا كبيرًا ، وسمعة عظيمة في العالم كتب عنها مجلة (Indian Express) في ١٤/يونيو أنها قالت : إن الغرب قد فشل في تقديم الحل الناجح لعدم التساوى بين الرجل والمرأة كما أن فكرة المرأة الغربية مبنية على الخطاء الفاحش ، بأن المرأة المتحجبة تكون محرومة عن المساواة بل يجب الآن أن ترد هذه الفكرة وتدحض .

وقد جاء في استعراض قدمته مجلة أمريكية (Better Homes and Gardansa) حيث وجهت إلى قرائها سؤالاً ا هل الحياة العائلية تعاني المشاكل في أمريكا ؟ فأجاب - ٧٦ - في المائة بـ نعم ، وقال : - ٨٥ - في المائة إنهم خيبوا آمالهم في أفراح الزواج ومسراته ، هناك اعتراضات كثيرة تشاع وتذاع حينًا لآخر في الجرائد الأمريكية وهي تزداد يومًا فيومًا .

**المرأة كالقوة الدافعة :**

إن المرأة كالقوة الدافعة في الهيكل الإنساني ، إنها قوة أساسية في الإنسان تدفع عنه الأمراض والأسقام وتدافع عنه الجراثيم الفاسدة التي تدخل الهيكل الإنساني لتأكله فإنها حصن حصين وسد منيع ضد العلل والأوبيـــة .

إذا اختلت هذه القوة وانهارت أحاطت الأمراض والأسقام بالهيكل الجسماني ونخّرته،و ألم تروا إلى الأيدس (Aids) الذي بدأ ينتشر في العالم بسرعة ، لأن الإنسان بدأ يفقد قوته الدافعة التي هي بمثابة السلاح يدافع عن البدن الإنساني وتقاوم الحملات الجرثومية التي تغير عليه حينًا بعد حين فتعود إليه صحته بمدد يمد به الأطباء الإخصائيون في صورة العمليات الجراحية والأدوية النافعة .

وإنها كالقوة الدافعة في الدولة التي لا تخلى الثغور بل تبقى مرابطة على الثغور ، ولو تركت الحدود خالية لسهل على كل من له قوة ما ، شنّ الغارات والتوغل في البلاد واستعباد العباد ، فإنه ليس من الحكمة والحيطة أن ننقل الجنود إلى دول أخرى ونخلى ثغورنا وبلادنا تحت رحمة الآخرين .

إن المرأة لم تخلق للسفور والتجوال على الشوارع والطرقات ولا للاحتلال في المناصب الحكومية والوظائف الرسمية ، ولا لاختيار المهن والحرف وكسب المعاش ، اللهم إلا إذا اضطرت إلى ذلك واشتدت الحاجة إليها نظرًا إلى الظروف والملابسات ، وإنما خلقت للانجاب وإنشاء الجيل الصالح ، ولكي يُسكن إليها ، ولإنعاش الصلاحيات والمواهب المودعة في الرجال ، فإنها كالقوة الدافعة العظيمة المليئة بالحيوية والنشاط الحافزة على التفاؤل والتقدم والازدهار .

**نداء إلى الفتيات :** أوجه النداء إلى كل فتاة في العالم وكل امرأة في





الدنيا أن تعرف قيمتها ، وتطلع على ما أودع الله فيها من صلاحيات ومواهب ، وتستغلها في صالح الإنسانية ولا تضيعها في الفنادق والمنتزهات وعلى الشوارع والطرقات ، ولا تهلكها في الليالي الساهرة واحتفالات الرقص والموسيقي ، وفي النوادى الخليعة ، والمحافل الماجنة، حتى تكون كسقط المتاع وأداة للتسلية البدنية وكرة جنسية يلعب بها اللاعبون .

إلى متى تبقين أيتها الفتاة ، يا أم الغدومربية الجيل ، متعة رخيصة وأداة تسلية وكرة جنسية ! انتبهي من سباتك وأفيقي من غفلتك واحذري من أعدائك الذين يأتون إليك في صورة الأصدقاء ، الرافعين لواء الحرية الكاذبة ، وقد صدق الرسول -ﷺ- حيث قال : من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر (١) لأن الحرائر من النساء هن الطيبات العفيفات الطاهرات المحتجبات المحتشمات ، ولكن المقاييس تغيرت فأصبحت الحرائر اليوم كاسيات عاريات مائلات مميلات خبيثات متجولات متروغات .

فأفيقي يا أختي واعرفي الحقائق ولا تنخدعي بهذه التقليعات الحديثة والموضات الجديدة التي انبهر ببريقها السذج والبسطاء من الناس ، فأدركي قبل فوات الأوان وتعاوني في بناء المجتمع الأفضل النموذجي الذي هو حاجة الإنسان في كل زمان .

ندعو الله -عزوجل- أن يوفقنا وجميع الاخوة والأخوات والفتيان والفتيات لما فيه صلاح الإنسانية وخيرها وهو سميع مجيب قريب .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

++ ++

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه .

من أعلام الدعوة والفكر:

# الداعية الكبير والمفكر الإسلامي
# محمد الغزالي إلى رحمة الله الواسعة

بقلم : سعادة الدكتور محمد لقمان الندوي

فُجع المسلمون في شتى أنحاء العالم الإسلامي بوفاة الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي عن ٧٩ عامًا وهو يؤدى واجبه الدعوى في ندوة ثقافية عنوانها « الإسلام والغرب » انعقدت فى قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في مدينة الرياض بالسعودية السبت ١٩/شوال ١٤١٦هـ الموافق ٩/مارس ١٩٩٦م .

وبهذا المصاب الجلل ، فقدت الأمة الإسلامية عالماً عاملاً مجاهدًا ، حمل لواء الدعوة والجهاد بالقلم واللسان فترة طويلة من الزمن ، وعاش حياة مليئة بالأشواك والقتاد ، لم يعرف خلالها الراحة والهدوء .

وعرفته البلاد العربية والإسلامية ، علماً من أعلام الفكر الإسلامي ، ورائدًا من رواد النهضة الإسلامية ، ومساهمًا فعالاً لحركة إسلامية واسعة أقضت مضجع خصوم الإسلام .

ولد الشيخ محمد الغزالي السقا في محافظة البحرة عام ١٩١٧م ، وتدرج في مراحل التعليم في القرية فحفظ القرآن مبكرًا ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني والابتدائي - ودرس فيه الكفـاءة والثانوي ، ثم غادر الإسكندرية إلى القاهـرة والتحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر عام ١٩٣٧م ، وتخرج فيها عام ١٩٤١م وتخصص في الدعوة ثم حصل على العالمية مع إجازة





التدريس وهي تعادل الماجستير عام ١٩٤٢ .

وعمل واعظًا في الأزهر ثم مفتشا للمساجد وعين بعد ذلك مديرًا لقسم الأوقاف ، ثم مديرًا لإدارة الدعوة الإسلامية و وكيلاً لوزارة الأوقاف للشئون الإسلامية .

وهو في كل هذه المراحل كان محاطًا بالرعاية الربانية فتلقى العلوم الشرعية منذ نعومة أظفاره ، وحفظ القرآن في صغره وأتم دراسته في المعاهد الدينية وارتوى من مناهل أصول الدين ، وهذه الأمور مجتمعة مَكَّنته من التشبع بروح الإسلام النقية ومن التضلع بمعرفة أسرار الشريعة الغراء ، وأثناء دراسته تعرف على الداعية الشهيد حسن البناء ، وصادفته دعوته هوى نفسه ، ولمست شغاف قلبه ، وانطلق مع قافلة الدعوة ، مجاهدًا مناضلاً لترسيخ أهداف الدعوة الشاملة ، فكانت حياته مليئة بأنواع من النشاط المتعدد الجوانب والكفاح المترامي الذي ينوء بعمله مئات الرجال .

ولكن هذا النشاط الدعوى الذي يستغرق في العادة ، كل أوقات الناس لم يكن ليصرف أستاذنا الكبير عن المساهمة في الميدان الثقافي العلمي .

فقد عرفته المنابر خطيبًا موهوبًا ، وعرفته الجامعات محاضرًا فذًا ، سريع البديهة ، جديد الفكر ، واسع الإحاطة ، شامل النظرة ، وعرفته الأوساط العلمية ، مؤلفًا قديرًا ، يوضح معالم الفكر الإسلامي وينقّيه مما أحاط به من شبهات وألحق به من شوائب ، وأثرى المكتبة الإسلامية بالكتب المفيدة والأفكار البناءة ، حتى بلغ عدد مؤلفاته ٢٨ مؤلفًا .

ونال الشيخ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٩هـ ،

وسُرّ بذلك كثيرًا ، وقال : « حمدت الله حمدًا كثيرًا طيبًا عند ما نلتُ جائزة الملك فيصل العالمية وشعرت بأن في هذه المنحة إمارة على الرضوان الأعلى ، وتذكرت ما رواه مسلم « عن أبي ذر - رضي الله عنه - قيل لرسول الله -ﷺ- أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه قال : .. تلك عاجل بشرى المؤمن » فإن تكن الجائزة التي منّ الله بها بشرى معجلة ففي الفؤاد شوق إلى البشرى المؤجلة المخبوءة في طيات الغيب ، والتي نرتقب من المنّان تباركت أسماؤه أن يتطوع بها على عبد يمرح في ستره ويتطلع إلى عفوه ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم ٠ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

سمع الله نداء الشيخ الحار واستجاب دعاءه ، فيسر له الحضور في مدينة الرياض في نفس المكان والزمان وبعد مرور ستة أعوام ، « في ندوة ثقافية » واندفع ليعبر عن آرائه النيرة ، « عن الإسلام والغرب » يحدوه الشوق إلى البشرى المؤجلة المخبوءة في طيات الغيب ، وعند ما حان الأجل المحتوم لبّى نداء الحي القيوم ، وصدق الله العظيم ، يقول : ﴿ فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

ولله در من قال :

يا أيها المعدودة أنفاسه  لا بد من يوم يتم العدد

ولله در القائل :

حالفتك المنى فآوتك طيبـــــة

وانتهى الشوط في البلاد الحبيبة

= وتجلت علامة القبول والرضا وتناقلت وكالات الأنباء انتقال الشيخ





إلى رحمة الله تعالى ، وأبدت الأوساط الرسمية والعلمية والدعوية حزنها العميق لهذا المصاب الجلل ، وأكدت أنه ليس فقيد مصر وحدها بل فقيد الأمة الإسلامية جمعاء .

وشملت مكرمات خادم الحرمين الشريفين أسرة الفقيد وذويه ، وأمر بإحضار أسرته من مصر بطائرة خاصة لحضور دفن جثمان الشيخ في البقيع بالمدينة المنورة ، بعد الصلاة عليه بالمسجد النبوي الشريف ، حسب وصية الشيخ الغزالي - رحمه الله - ، ودفن بجانب الشهداء والصالحين والدعاة والمحدثين ، تغمده الله بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

= ومن علامات القبول والرضوان أنه نال جائزة الملك فيصل العالمية ، وجائزة الدولة التقديرية بمصر، وجائزة التمغة والامتياز الباكستانية ، وجائزة الدعوة الإسلامية من الجزائر .

= ومن أبرز علامات القبول والرضوان أن ترشح المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية « إيسيسكو » فضيلة الشيخ محمد الغزالي لنيل جائزة السلطان حسن البلقية العالمية « سلطان بروناى دار السلام للدراسات الإسلامية لهذا العام ١٩٩٦م ، وقد أعلنت الأمانة العامة للجائزة التي يتولاها مركز الدراسات الإسلامية في لندن : أن موضوع هذه الجائزة هذه السنة و هو القرآن وعلومه ، وشاءت إرادة الله أمه ينشر في مجلة المجتمع في ٢/١٢ سنة ١٩٩٦م ، هذا الخبر السار في وقت أثارت وفاة الشيخ حزنًا عامًا في العالم الإسلامي ، لتكون إشارة واضحة لاستجابة دعاء الشيخ محمد الغزالي خلال تسلمه لجائزة الملك فيصل العالمية عند ما طلب من المنان الحنان تباركت أسماؤه أن

يتطوع بالمغفرة والرضوان ، على عبد يمرح في ستره ويتطلع إلى عفوه ، وما ذلك على الله بعزيز ، ودعاؤنا أن يوفقه الله فيكون ممن قال الله تعالى عنهم :

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ٠ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ٠ إنه غفور شكور ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ٢٠] .

**جهود الشيخ في فقه الإسلام وتربية الشباب ومكافحة أعداء الإسلام :** تنوعت جهود الشيخ محمد الغزالي وتعددت جبهاته عبر ساحة الفكر الإسلامي ، يتحدث عن نفسه قائلاً : « مشكلتي أنى أحارب العلمانية والشيوعية والصليبية والصهيونية وبدعًا رديئة في الداخل وغارات ماكرة في الخارج إني أشتبك مع أعداء الإسلام في جبهات شتى يكاد الكلام يغلبني وأنا أوزع قواى هنا وهناك » .

= للشيخ مواقف ضد الزحف الشيوعي والليبرالي واستخدم لذلك منابر الخطابة وأساليب الحوار ، وقد أصدر في ذلك عددًا من الكتب : « الإسلام والمناهج الاشتراكية » « الإسلام المفترى عليه بين الشيوعين والرأسماليين » « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » وله جهد مشكور في طرد بعض الملاحدة والشيوعيين من الجزائر ومن ملتقيات الفكر الإسلامي .

= وله مواقف ضد الزحف التنصيري في الداخل والخارج وجاء كتابه : « التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام » سدًا منيعًا ضد الزحف .

= وكان الشيخ الغزالي من أبرز الدعاة وقوفًا ضد الغزاة المعجبين بالثقافة الغربية فقد ندد بسارتر و الوجودية ، و كتب في ذلك :





« الاستعمار أحقاد وأطماع » و « ظلام من الغرب » .

= ورأى الشيخ محمد الغزالي أن المسلمين في حاجة ماسة إلى تفهم معاني الأسوة وتبيين معالم ، قوله تعالى : ﴿ لقد كان في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ فأخرج كتابه « فقه السيرة » فأصبح رائدًا لإيجاد مدرسة في فهم السيرة ، وتتابعت الكتب في ذلك ، فقه السيرة للبوطي ، السيرة النبوية ، دروس وعبر للسباعي - رحمه الله - وللدكتور عماد الدين الخليل .

= وقدم الشيخ للمكتبة القرآنية أربعة كتب مفيدة في التفسير الموضوعي : « نظرات في القرآن الكريم » « كيف نفهم القرآن » « المصادر الخمسة للقرآن الكريم » « نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم » وإن إنتاجه العلمي في هذا المجال يتصف بالجدة والطرافة وبالأصالة والعمق ويجمع بين الفهم الرشيد لآي الذكر الحكيم ، وبين الاجتهاد في الشرح والتفسير والابتكار في التناول والعرض،وذلك عن طريق جمع الآيات التي تعالج قضية واحدة ، وشرحها ، واستخلاص الأحكام منها وبيان الخطوط التي تشدها إلى بعضها ، ومدى تناسقها وانسجامها .

**مواقفة مع الأحداث :** كان الشيخ محمد الغزالي يتابع الأحداث الجارية على الساحة الإسلامية ، ويعيش مع قضايا المسلمين في كل مكان ، في الهند والباكستان ، في دول الخليج والأفغانستان ، وفي الرباط والجزائر وفي بلاد الشام وآذربيجان ، يشارك فيها مشاركة إيجابية بصرخاته وتوصياته ، كتابة وخطابة ، ومشاركة في الندوات والمؤتمرات ، وعلى منابر الجوامع ، منبر الجامع الأزهر ثم منبر

مسجد عمر مكرم فمنبر جامع عمرو بن العاص ، وكانت هذه المساجد تغص بالمصلين يرتادها خيرة المثقفين والواعين ، وكانت خطب الشيخ تمتاز بالواقعية والصدق وبمعالجة الأفكار والقضايا المعاصرة ، يقول في هذا الصدد : « أتابع النشاط الإسلامي المعاصر بحب وخوف ، حبي لأنني مسلم أريد للحق الذي أعتنقه أن يسود ، وأن يقوم من عثراته التي طالت ، وخوفي عليه ، لأن الأعداء أقوياء وأغنياء يريدون الإجهاز على الدين الجريح ، وانتهاز الفرصة التي لاحت بعد طول الانتظار أو طول التدبير » .

**مواقفه مع الشباب :**

يقول الشيخ : « قلبي مع شباب الصحوة الإسلامية الذين عملوا الكثير للإسلام ، وينتظر منهم أن يعملوا الأكثر .

= إنهم اشتبكوا مع الروس في أفغانستان فطلعوا عليهم بالردى ، واضطروهم إلى الفرار .

= وقد اشتبكوا من قبل مع الفرنسيين في الجزائر ، وكانت تضحياتهم سيلاً موّارًا بالدماء والأشلاء حتى تأذن الله بالفرج .

= وعند ما كانت معركة فلسطين إسلامية القيادة ، تضاعفت خسائر اليهود ، واصطدمت أمانيهم بأسوار من حديد ، ويقول : إن قلبي ولُبّي مع الصحوة الإسلامية التي تحاك لها المؤامرات العالمية ، يتعرض أبطالها إلى ظلم بعد ظلم وألم بعد ألم .

= ويوجه الشيخ نصيحة فيقول : إن إقامة دين الله تعنى قبل كل شئ تأسيس علاقة زاكية بين المرأ وربه منزهة عن طلب الدنيا والتشبع من لذائذها ، والاستعلاء في أرجائها : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا





يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٨٣] .

= والخلاف الفقهي لا يوهن بين المؤمنين أخوة ولا يحدث وقيعة ، ومن الشباب من يجعل من الحبة قبة ومن الخلاف الفرعي أزمة .

ومن توجيهاته للشباب المتحمس : « إن المدافعين لا ينقصهم غالبًا - الحماس والإخلاص ، وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه » .

«إنهم يحسبون أن حال المسلمين اليوم وليدة علل عارضة ، ومن السهل إزالتها في أيام معدودات ، أو على الأكثر بضع سنين من حياتهم ، ثم يعود المسلمون إلى مجدهم الأول أيام الصحابة والتابعين ، وهذا الاستعجال كان وراءه متاعب كثيرة وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية بل ربما زاد خصومها تمكينًا وضراوة ، فما موقف الشباب المسلم في هذا العصر الذي تطورت فيه الحروب فانتظم جهازها كل شئ .

إنه لابد من إعطاء صورة سريعة لعلاقة المسلم بدينه ، أو لمطالب هذا الدين من تابعين » وكتب للشباب في العقيدة وهي رأس الأمر كله « عقيدة المسلم » وكتب لهم في السلوك الإسلامي « خلق المسلم » وبدأ بمقدمة عن الأخلاق في الإسلام وصلتها بالتعاليم والعبادات الأخرى ، وعن طبيعة النفس وآثار البيئة .. إلخ .

ولقي الكتاب « خلق المسلم » رواجًا وقبولاً وانتشارًا في أوساط الدعوة ، ويقول في هذا الصدد : « الذي يغلغل النظر في علل هذه الأمة يلحظ على عجل أنها تتنفس في جو فكري خانق ، وأن تغذيتها النفسية والاجتماعية والعقلية والعاطفية رديئة أشد الرداءة ، وفي ضوء هذه النظرة التربوية قدم لهم كتابه « كيف نفهم الإسلام » و « من

هنا نعلم » الذي رد فيه على الشيخ خالد محمد خالد في كتابه : من هنا نبدأ - والذي بدأ فيه رحلة التضليل الثقافي ونسب للإسلام ما ليس منه .

ولعل من أبرز النتائج التي انتهى إليها الشيخ : أن مشكلة المسلمين الرئيسية تكمن في التمزق الثقافي الذي عرض له ، وبين أسبابه في كتابه الأخير « دستور الوحدة الثقافية » .

وخلال دراستنا لهذا الكتاب نستطيع أن نترسم الملامح الرئيسية للدعوة الإسلامية الحديثة وتطورها ، لأن الشيخ كان يعاني الأزمات في الساحات وكان يكتب من أرض المعركة ومن وحي الساعة .

**مواقف الشيخ مع مواكب الدعوة خارج مصر :**

انضم الشيخ محمد الغزالي إلى هيئة التدريس في جامعة أم القرى في السعودية وأدرك أبعاد البيئة الإسلامية ورأى معالم الحكومة الشرعية ، فقدرها كثيرًا كما يظهر في أحاديثه وكتبه وعلى رأسها الطبعة الجديدة لكتاب : الإسلام والأوضاع الاقتصادية .

= وكتاب : المسلمون يستقبلون القرن الخامس عشر ، يشيد بالمملكة وللملك عبد العزيز وبأبنائه ، وبالأمن في المملكة ، وكان له برنامج يومي في المذياع يحبه الناس ، كما كان يشارك في التلفاز في الصحف ، فضلاً عن توجيهه لطلاب الدراسات العليا ، وأبدى إعجابه بهذه المملكة الإسلامية عند استلامه لجائزة الملك فيصل قائلاً : إن علم المملكة العربية السعودية ، تميز على أعلام مائة وستين دولة بشعار فذ هو كلمة التوحيد ، لقد خلا من الرسوم والأصباغ ، وبرزت على رقعتها الصافية ، الكلمة التي تمثل رسالة الوجود « لا إله إلا الله محمد رسول





الله » عشرات الدول رأت أن ترسم على راياتها شعارات أخرى ، أما السعودية فقد رفضت المواربة والمداهنة ودفعتها عزة الحق وكبرياؤه إلى كتابة أشرف عنوان في الأرض والسماء ، فإذا هاجت الفتن ، وأبت إلا غمط الحقيقة ، ورأت ألا تكون كلمة الله هي العليا احتكمنا إلى القوة التي تحمي الحق وتدفع الباطل احتكمنا إلى السيف » .

= وله جهود مشكورة في نشر الوعي الإسلامي في الجزائر ، وكان يتمتع بثقة الرئيس شاذلي بن جديد ، الذي كان يرعى الجامعة و جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسطنطينية رعاية مباشرة وأثمرت الثقة المتبادلة بينهما ، فتوسعت دائرة الجامعة بعد أن كانت كلية واحدة فأصبحت ست كليات موزعة على المدن الجزائرية وشارك في بث الوعي الإسلامي بالوسائل المسموعة والمقروءة .

= قطر من أبرز دول الخليج ، كان للشيخ دور كبير في نشر الوعي الإسلامي وتطوير كلية الشريعة بواسطة المساجد والمنتديات واللقاءات الهادفة ، وقد كان يمضي شهورًا من كل سنة ، وكان يعامل كضيف لدولة قطر ويستشار في كثير من الأمور .

**في أوربا وأمريكا :** كان الشيخ يُدعى في المؤتمرات والندوات الطلابية والشبابية ، حيث كان يلتقى بخيرة الشباب وطلاب الدراسات العليا ، وكان له دور رائد في توجيههم وإرشادهم .

**هموم داعية والتطلع إلى الآفاق العالية :**

كان الشيخ محمد الغزالي ، يتمتع بسعة الأفق ، وبشمولية الفكر ، وبالإيمان بعالمية الدعوة وبالاعتقاد الجازم بأن هذا الدين لابد أن يسود ، ويتفاعل مع الأحداث ، يقول : شعرت بالاستحياء وأنا أحصى

الدول الصناعية المنتجة فلا أجد ، بين العشر الأولى ، ولا بين العشر الثانية ، ولا .. دولة مسلمة واحدة ، ويقول : ومعروف أن اليابان بدأت نهضتها من قرن تقريبًا ، وأن شعوبًا إسلامية بدأت نهضتها في الزمان نفسه ، و وصلت اليابان إلى الذروة وبقينا نحن في السفح ؟ ما السبب ؟ قد يكون لفساد الجو السياسي دخل كبير ، ولكن فساد الجو الثقافي له - في نظره - دخل أكبر .

ما تقول في فتيان يريدون إشعال معركة من أجل قضايا جزئية تتعلق باللباس وغيرها هي أقرب إلى سسنن العادة منها إلى سنن العبادة ، وقد تأتي في نهاية سُلّم الأولويات .

**بين الاجتهاد والتقليد :**

اتخذ الشيخ محمد الغزالي طريقًا وسطًا في هذه المسألة وأعجب برأي الشيخ الأديب الفقيه علي الطنطاوي حيث يقول : والحق أنه على المسلم أن يتفقه أولاً في مذهب معين ، فيعرف أحكام دينه ، ثم ينظر في دليلها ، ويحاول أن يتعلم ما يعين على معرفة طرق الاستدلال وقوة الدليل ، ثم ينظر ، فإن رأى دليلاً أقوى من دليل مذهبه أخذ به ، وقد بين ابن عابدين في أول الحاشية أن الحنفي المقلد الذي يجد حديثًا صحيحًا على خلاف مذهبه ، عليه أن يأخذ به ، لا سيما في العبادات ، وليس يخرج في ذلك عن كونه حنفيًا ، والله قد أوجب على المسلم اتباع الكتاب والسنة .. إلخ .

والمتأخرون الذين قالوا باتباع أحد المذاهب ، إنما قالوا ذلك : لما رأوا غلبة العجز على الناس ، ولئلا يصير الأمر فوضى ، فيدعى كل واحد أنه صار أبا حنيفة أو الشافعي كما هو الحال .





تتجلى شخصية الغزالي وسط هذه الآراء متمسكًا ، بالاعتدال والتوازن في فهم أبعاد الشريعة ، ويتحدث عن هذه الوجهة الوسيطة ، فيقول : لقد تتلمذت على كتابات لابن الجوزي وابن تيمية والغزالي وابن رشد ، وانتفعت من صواب أولئك كلهم ، وتركت ما تعقّبهم الآخرون فيه بحق .

« وعندي أن تأويل الغزالي لا يخدش منزلته ، كما أن إنكار ابن تيمية للمجاز أو توقفه في نفي الجسمية لا يخدش منزلته .

لماذا أتوقع العصمة من البشر وأجعل الأخطاء القليلة التي تنسب إليهم جبالاً تنهدم فوق رؤوسهم ، وتأتي على ذكراهم » .

وما أحوجني وإياهم إلى مغفرة الله وأحوج الإسلام بعد ذلك إلى جهاد أبنائه .. إلخ .

بهذه العدالة والواقعية يعالج الشيخ محمد الغزالي ، أمور دينه وعلمه ويمتاز في كل خطوة من خطوات دعوته ، بسعة الأفق وبشمولية الفكر .

**موقف الشيخ في خلاف الفقهاء :**

يرى الشيخ أن الخلاف الفقهي في الفروع قديم قدم الإسلام نفسه وهو خلاف لابد منه ، ولا خوف على الدين من بقائه إلى قيام الساعة !

وكل ما نبغيه أن يكون هذا الخلاف في حدود الفكر العلمي الإسلامي والضمير الراغب إلى الله الحريص على مرضاته ، ويذكر أمثلة لهذا الاختلاف الفقهي ، فيقول : فابن حزم يوقع الطلاق الثلاث ، ويرى هذا الحكم ما تدل عليه السنة ولو كان بكلمة واحدة .

وابن تيمية يرى غير ذلك ، ويعد الثلاث واحدة ما دامت في المجلس

أو بلفظ واحد ، ويبني على ذلك جواز الرجعة ، بينما يرى ابن حزم أنه لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره .

وابن حزم يرى الغناء الحسن مباحًا ويجيز بيع آلاته من معازف ومزامير ويرى ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم تحريم هذا كله .

ثم يعلل هذا الخلاف قائلاً : إن اختلاف الآراء وتباين المذاهب شئ لا يمكن تجاهله ، ولا الفرار منه ، فتلك سنة الله في الأنفس والأذهان .

والخلاف لا يحل بالعصى وإنما يحل بالتعاون على ما اتفقنا عليه والتماس العذر إذا كان أهلاً للبحث والاجتهاد .

**وقفات وتأملات مع موكب الشيخ العلمي والدعوي :**

ألف - مؤلفات الشيخ رافقت خطوات الدعوة الإسلامية المبكرة ، والتي جاءت تسدد طريقها ، وتبصرها بأعدائها وتحذرها من المزالق التي ترسم لها ، في الوقت الذي كانت تصطرع فيه الأفكار والمبادئ لا يجاد البدائل الثقافية للإسلام .

- ويلاحظ الدارس لهذه الكتب الهادفة ، أنها لا تلتزم المنهج العلمي ، في التخريج والتبويب ، وما إلى ذلك ، ويرد الشيخ علي هذه الظاهرة قائلاً : إنني لا أكتب إشباعًا لترف علمي ، قدر ما أكتب إصلاحًا لأغلاط شائعة وأوضاع جائرة .

ب - كان الشيخ علي صلة مع معاصريه من الدعاة والمؤلفين ، مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، مع الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني مع المفكر الإسلامي أبي الأعلى المودودي مع الداعية العالم أبي الحسن علي الحسني الندوي ، يتبادل معهم الآراء ويتباحث مع بعضهم في أمور ويختلف معهم في المسائل ..





ولكنه كان اختلافًا في الجزئيات وليس في الأساسيات .. واحتد النقاش مع بعضهم حول كتاب : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » ولكنه لم يتجاوز عن كونه « نقاشًا واختلافًا بين مدرستين » كل مدرسة تمثل بيئتها وطبقتها وإن كنا نتمنى أن لا يحدث هذا الخلاف .. ولكن ..

ما كل مـــــا يتمنى المـــــرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهـــي السفن

ج - تضلع الشيخ في لغة القرآن والحديث أغنته أن يجيد اللغات الأخرى ، ومع ذلك نراه من أوائل من كتب عن المواضيع المعاصرة : « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » و « الإسلام والمناهج الاشتراكية » و « الإسلام المفترى عليه بين الرأسماليين والشيوعيين » .

هـ- كان الشيخ يتمتع بذوق لطيف وبذكاء لماح ، فكان يستشهد في خطبه بالآيات والأحاديث وبأبياتٍ شعرية ، تثير الانتباه،واختار لكتبه عناوين مبتكرة - جدد حياتك - قذائف الحق - حصاد الغرور - ظلام من الغرب - هموم داعية .

د - حرص الشيخ على الالتزام بالاستمرار مع الجماعة ، ولم يحرص على الالتزام بالاستمرار مع الأحزاب .

دعاؤنا أن يرحم الله الشيخ رحمة واسعة ويسكنه فسيح جناته ، وأن يعوض المسلمين بفقده خيرًا وأن يُلهم الجميع الصبر ، والحمد لله على قضائه وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

++ ++

العالم الإسلامي في الهند :

# مسجد غيان وافي والحقائق التاريخية

الأستاذ محمد شامجهان الندوي

بعد هدم المسجد البابري في ٦/من شهر ديسمبر ١٩٩٢م بأيدي الإرهابيين المتطرفين ، لم يزل زعماء الحركات الهندوسية المتطرفة ، يتربصون الفرص السانحة لتنفيذ مخططاتهم حول هدم مساجد أخرى في أرجاء الهند عامة ، وهدم مسجد غيان وافي في بنارس ، والمصلى الملكي في متهرا خاصة ، وقد استتب لهم الأمر ، وتمكنوا من إجراء خطواتهم ، عند ما تولت زمام الحكم في ولاية أترابراديش بتعاون من (ب. ج. پ.) السيدة مايا وتي ، فتضخمت نشاطات هذه الحركات المتطرفة حول مسجد غيان وافي ، والمصلى الملكي ، التي قد أحدثت خللاً في النظام والقانون ، وجعلت هذين المسجدين التاريخيين يتعرضان للخطر المنذر بشر مستطير - والله يعلم ما وراءه - ، ولذلك يحسن بي أن ألقى بعض الأضواء على حقائق تاريخية لمسجد غيان وافي .

إن المواضع الذي يقع فيه هذا المسجد التاريخي كان فيه قبل ألفي سنة بئر مطوية ، تسمة بـ « وافي » وقد بنى البوذيون فيه بعد ما طموا البئر تكية لهم ، كانوا يجلسون فيها للمراقبة والتفكير ، فاشتهرت بـ « غيان وافي » .

وكان في ذلك الوقت للبوذيين جولة وصولة في الهند كلها ، فدمروا الهندوس وهدموا معابدهم ، ونهبوا أموالهم .





ولم يكن هدم المعابد الهندوكية مقصورًا على البوذيين ، بل الأمراء الهندوس أيضًا كانوا يهدمون المعابد ، لكي يحوزوا الأموال الطائلة عن طريق أصنام الذهب والفضة التي كانت توجد في تلك المعابد ، هذا ما فعله الحاكم الهندوسي « هرش » وغيره .

وقد اعترف المستر ورما بأن البوذيين هم الذين هدموا المعابد الهندوسية ، حيث يكتب « إن البوذيين قبل دخول المسلمين إلى هذه البلاد النائية ، ألحقوا ضررًا بالغًا بنا وبمعابدنا ، بما أنهم كانوا يخالفون عبادة الأوثان ، لذلك فهدموا المعابد وكسروا الأصنام » .

إن هذا الوضع لم يزل قائمًا إلى قرن ، والبراهمة الذين يعتقدون الزعامة والسيادة حقهم ، كان يقلقهم سيادة البوذيين ، ولذلك فدبروا وخططوا وراء كواليس الظلام المعتم ، إلى أن ظهر في جنوب الهند سوامي شنكر آچاريا ، فاحكم سيادته وبلغ أقصى أوجه ، فقام بحركة الإبادة ضد البوذيين ، و وصل تدريجيًا إلى شمال الهند ، ففتك بمساعدة البراهمة والراجپوت بالبوذيين ، ونفي من بقي منهم من البلاد ، وأزال آثارهم التاريخية ، وبذلك نالت الهندوسية حياة جديدة ، وقامت مدارس الديانة الهندوسية في كل مكان ، وتوزعت تلك المدارس الدينية إلى فرق ، فرقة تجعل وشنو هو الهادي الأكبر ، وفرقة تجعل برهما ، وفرقة تجعل گنيش هو الهادي الأعظم .

وكان ذلك كله في القرن الثامن والتاسع للميلاد .

## بناء مسجد غيان وافي :

بعد ما تحولت زاوية البوذيين إلى طلل ، بقي ذلك المكان على حاله

إلى خمسة قرون ، حتى أراد الشيخ سليمان المحدث ، وكان تلميذًا ثريًا لصدر جهان الذي كان يشغل منصب صدر الصدور في عهد السلطان ابراهيم الشرقي الجونفوري ، أن يعمر ذلك المكان ، فأسس فيه مسجدًا ، وتمّ بناؤه في الفترة ما بين ٨٠٤- ٨٤٢هـ .

ولما ارتقى عل سدة الحكم الملك شاهجهان الذي له فضل في بناء المدارس والمساجد في الهند كلها ، فبنى مدرسة متصلة بالمسجد باسم « ايوان الشريعة » .

إن هذه المدرسة قد لعبت دورًا كبيرًا في نشر العلوم الدينية ، وخرجت أفواجًا من العلماء والفضلاء ، وبعثت قوافل من الدعاة إلى الله في المناطق الشرقية للهند .

وآل الحكم بعده إلى ابنه العادل الملك أورنگ زيب ، فرأى أن هذا المسجد يكتظ بالمصلين ، فقام ببنائه الجديد وتوسعته .

**مشكلة المساجد والمعابد في الهند :**

إن هذه الحقائق التاريخية كلها تدل بكل وضوح وصرامة أن هذا المسجد وغيره لم يكن موضع نزاع يومًا ما ، ولكن بعد ما احتل الإنجليز الغاصبون أرض الهند واستولوا عليها بدهائهم المعروف ، ومؤامراتهم الدقيقة المعلومة لدى الجميع ، حاولوا تفريق المسلمين والهندوس بنظريتهم الخاصة « فرق وسد » لكي تبقى لهم السيادة في الهند .

فكتبوا التاريخ وملأوه بالأباطيل ، وأثاروا قضية المسجد والمعبد ، لكي يضيع المسلمون والهندوس قوتهم متخاصمين فيما بينهم ، فيبقى حكمهم مصونًا عن الخطر ، وقد نجحوا في خطتهم لحد ما ، وأوجدوا في





المسلمين والهندوس جو الشك ، وعدم الثقة .

وقد أقبل الهندوس - خاصة - على هذا التاريخ المزخرف ، ولم يدققوا فيه ، فتكونت لهم نفسية معادية للمسلمين ، فوقعت نتيجة عنها اضطرابات طائفية مبيدة للمسلمين مدمرة لممتلكاتهم .

ولذلك يكتب بابو كرشن پرشاد : « إن مما يثير العجب على الهنود ، أنهم لا يلتفتون إلى التحقيق والتدقيق ، بل يرددون كلام الآخرين كالببغاء » .

بعد هذه السطور العديدة يتكشف كضوء النهار أن المسجد لم يبن على أنقاض أي معبد هندوكي في عصر ما .

أما ما يعتقد المتطرفون من الهندوس أن الملك العادل أورنگ زيب بعد جلوسه على سرير الملك سنة ١٠٦٨هـ ، بنى هذا المسجد بعد ما هدم معبد بند مادهو سنة ١٠٧٩هـ ، فقول لا يمتّ إلى الواقع والصحة بأيّ صلة .

وهذا هو السبب الذي دفع المستر ورما إلى أن يعترف بأن « المسجد لم يبن في موضع المعبد ، بل هذه سياسة إنجليزية خبيثة حيث إنهم أثاروا الشكوك والشبهات في أذهان الهندوس بأن الملك أورنگ زيب هدم المعبد ، وبنى المسجد » .

والواقع أن هذا المسجد قد بنى قبل أن تقوم قائمة الحكم المغولي في هذه البلاد .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

++ ++

## بثّ

الأستاذ حيدر الغدير

رويدك يا دنيا فمهما تعاسرت
لياليك لن أشكو إليك ولا ليا
فحسبي إيماني عيوفًا و راضيًا
أداري به جرحي و إن كان عاتيا
يدمدم في صدري حنين و إنما
أحنّ لدينا شمتها في خياليا
لدنيا من النعمى يصوغ إباءها
رجائيَ أن أحيا و ما هبت باغيا
هي الطهر و الرأد العزيز و جنة
من النور في صدري تزين المغانيا
هي الجنة الفيحاء و الوارف الذي
ألوذ به حرًا عزيزًا منانيا
و أسمو على الحساد أسخر منهم
و أرثى لدنياهم و ما كنت جانيا
أنا النسر عزًا حيث كنت ، فهمتي
عفافي و كبري و ارتقائي المعاليا
دموعي غوال ما رخصن لحادث
فهن السنا و الأفق ضحيان حاليا
و هن النجوم الزهر في غلس الدجى
و هن لآلي البحر رهوًا و عاتيا
و هل عادت الغربان إلا حسيرةً
إذا نازعت شمَّ الجبال المراقيا
و إني و إن خان الصديق مودتي
وفائي كنور الفجر و المزن هاميا
و قلبي - وعين الله تجلوه رحمةً -
صفاءً و إيمان يجوب الدراريا



## بعض أخطاء فاحشة في سير أعلام النبلاء

الدكتور السيد رضوان علي الندوي

إن كتاب سير أعلام النبلاء لشيخ الإسلام الحافظ المؤرخ الإمام الذهبي من أهم وأضخم كتب هذا المحدث المؤرخ الجليل ، وإنه صدر في سبع طبعات من سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م حتى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م بتحقيق وإشراف الأستاذ المحقق شعيب الأرنؤوط وغيره من الباحثين في ٢٥ جزءًا ، منها الجزءان الأخيران فهارس الكتاب المهمة ، وكان الإشراف له في تحقيق الكتاب كله .

ولا شك أنه من أمتع كتب هذا المؤرخ العظيم يؤرخ فيه للصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء والصوفيين والمؤرخين والكتاب والوزراء ورجال الحكيم والسياسة وأعلام الأدب والشعر ونوابغ القادة والمفكرين والفلاسفة حتى نهاية القرن السابع الهجري بل أوائل القرن الثامن للهجرة ، ونفس هذا المؤرخ الجليل فيه طويل ، وإنه بحق لموسوعة ثقافية علمية عظيمة ضخمة .

وقد أحسن الباحث المحقق الأستاذ شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في إخراج هذه الموسوعة المفيدة المتعة ، ولكن كجميع مثل هذه الموسوعات الضخمة من عمل مؤلف واحد فيه بعض الهفوات ، انتبه إلى بعضها محققوها وفاتهم الانتباه إلى أخطاء عديدة أخرى في مختلف مجلداتها ، وأريد أن أشير إلى بعضها في هذه العجالة خدمة للعلم وإفادة للقراء وأرجو أن يصححها محققوها في طبعات قادمة . ومنها :

١- في الجزء الرابع ، صفحة/١٠٨ ، ما نصه المؤلف قائلاً : « قال

خليفة بن خياط : وفي سنة ثمان وتسعين ولّى الحجاج عبيد الله بن أبي بكرة سجستان » .

وهذا الكلام ظاهر الخطأ ، إذ أن الحجاج قد توفي في رمضان سنة ٩٥هـ فأنى له أن يولى رجلاً سجستان بعد وفاته بثلاث سنين ، والمؤلف نفسه ، في الجزء نفسه في ترجمة الحجاج أرخ وفاة الحجاج في سنة ٩٥هـ (ص/٢٤٢) ، ومحقق هذا الجزء في الهامش أحال إلى صفحة/٢٧٧ من تاريخ خليفة بن خياط ، وكأنه يؤيد الإمام الذهبي في نسبة هذا القول إلى خليفة بن خياط المتوفى في سنة ٢٤٠هـ على أرجح الأقوال ، ولكن عند رجوعي إلى تاريخ خليفة بن خياط (طبقة الدكتور أكرم ضياء العمري ، سنة ١٩٧٧م بيروت) تبين لي أنه ذكر هذه التولية في حوادث سنة ثمان وسبعين [٧٨هـ] ، وهكذا فالسهو من المؤلف الناقل وليس من المؤرخ القديم خليفة بن خياط ، أستاذ الإمام البخاري .

٢- وفي الجزء نفسه أي الرابع في صفحة/٢٠٨ ، ذكر الإمام الذهبي قول ربيعة بن يزيد بهذه الصيغة ، قال : « جلست إلى الشعبي بدمشق في خلافة عبد الملك ، فحدث رجل من الصحابة عن رسول الله -ﷺ- أنه قال : اعبدو الله ربكم ولا تشركوا به شيئًا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الأمراء ، فإن كان خيرًا فلكم ، وإن كان شرًا فعليهم ، وأنتم منه بُرآء ، فقال له : كذبت » .

وقال محقق هذا الجزء في الهامش رقم/١ : « رجاله ثقات خلا سعيد ابن عبد العزيز فإنه اختلط بأخرة » .

ولقد عقب المؤلف الجليل على قول الشعبي : « كذبت » نقلاً عن الحاكم صاحب المستدرك في سنده إلى عبد الوهاب : « فكأنه أراد بها





أخطأت » [ص/٢٠٩] ، وهذا تأويل على أساس أنه لا يتصور أن يقول الشعبي لصحابي : « كذبت » .

والحقيقة أنه سوء فهم لمعنى كلمة « الصحابة أو رجل من الصحابة » في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فإن هذه اللفظة في عهد هذه الخليفة كانت تطلق على حاشية الخليفة كما يتأكد من كلام الحافظ المؤرخ ابن عساكر ، فإنه في تاريخ دمشق الكبير في ترجمة الإمام الزهري المطولة ، قد ذكر قصة بقاء الزهري لعبد الملك بواسطة قبيصة بن ذؤيب الذي كان كاتب عبد الملك ، وبعد أن تمّ هذا اللقاء ، ذكر ابن عساكر على لسان الزهري ، قال (أي الزهري) : « ثم خرج قبيصة بعد ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أمر أن تثبت في صحابته ، وأن يجرى عليك رزق الصحابة ، وأن ترفع فريضتك إلى أرفع منها ، فالزم باب أمير المؤمنين » .

وأورد بعد ذلك الزهري قائلاً : « وكان على عرض الصحابة رجل فظّ غليظ ، يعرض عرضًا شديدًا (١) .

وظاهر من هذا النص المهم أن الصحابة هنا ليس في معنى صحابة رسول الله -ﷺ- ، فلا يتصور أن يُلزم الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين بالحضور على باب عبد الملك ، إذ كانوا هم أجلّ وأكرم من ذلك ، وكان عبد الملك يحترمهم غاية الاحترام ولم يبق منهم في عهد عبد الملك إلا عدد ضئيل جدًا في الكوفة والبصرة أو المدينة ، وليس منهم على أغلب الظن في دمشق أحد .

---

(١) الزهرى ، وهي ترجمة له مستخرجة من تاريخ مدينة دمشق بتحقيق شكـــــر الله بن نعمة الله قوجاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢م ، ص/٧١ .

وقد أحسن محقق كتاب الزهري (أي ترجمته المستخرجة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ) في هامش رقم/٢ ، ص/٧١ في تفسيره على كلمة الصحابة الواردة هنا قائلاً : الصحابة هنا هم حاشية السلطان ، وقد ألفت في « الصحابة » رسائل وكتب ، كرسالة عبد الله بن المقفع في صحابة أبي جعفر المنصور وهي مشهورة منشورة وكتاب « أسماء الخلفاء وكتابهم والصحابة » لأحمد بن الحارث الخزّاز المتوفى سنة ٢٥٨هـ ، ولقد ذكره ابن النديم (والصواب فيه النديم) في الفهرست ص/١١٧ (طبعة رضا تجدد الإيرانية الحديثة) .

وهكذا فقول الشعبي ردًا على « رجل من الصحابة » في هذا النص « كذبت » ليس موجها إلى أحد من صحابة رسول الله -ﷺ- حتى يضطر الإمام الذهبي أن يورد تأويلاً له بمعنى « أخطأت » بل إنه موجه إلى أحد حاشية بلاط عبد الملك بن مروان الذي روى حديثًا مكذوبًا في مجلس ضمّ الشعبي .

ومن المؤسف أن محقق هذا الجزء لسير أعلام النبلاء لم ينتبه إلى هذه الحقيقة فلم يعقب عليه في الهامش .

٢- وفي الجزء العاشر في صفحة/٤٦١ ذكر الذهبي نقلاً عن نفطويه : « كان عليّ بن الجعد أكبر من بغداد بعشر سنين » .

وكتب محقق هذا الجزء محمد نعيم العرقسوسي الهامش رقم/٥ على هذه العبارة ، فقال : « وفي معجم البلدان : ١/٤٥٧ أن أبا العباس السفاح شرع في عمارة بغداد سنة ١٤٥هـ ونزلها سنة ١٤٩هـ » .

وهذا التعقيب من المحقق خلاف الواقع التاريخي فإن جميع البلدانيين والمؤرخين يقولون إن الذي اختط بغداد وبناها هو أبو جعفر المنصور (انظر مثلاً تاريخ بغداد لابن طيفور ، وصورة الأرض





لابن حوقل ، وتاريخ الطبري ، ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد في حوادث سنة ١٤٥هـ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وغيرهم) ، وهذا التحديد من قبل المحقق باسم أبي العباس السفاح خطأ فاحش بداهة ، فكيف يشرع هو في عمارة بغداد وقد توفي سنة ١٢٦هـ بدون خلاف بين المؤرخين .

هذا ، والمحقق الفاضل قد أخطأ في فهم عبارة ياقوت في معجم البلدان ، إذ أنه بدأ كلامه على بغداد قائلاً : « كان أول من مصرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني الخلفاء ، وانتقل إليها من الهاشمية ، وهي مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة ، وشرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ ونزلها سنة ١٤٩هـ » .

فكلام ياقوت : « وهي مدينة كان قد اختطها أخوه العباس السفاح » متعلق بمدينة الهاشمية ، العاصمة الأولى للعباسيين ، بدليل « قرب الكوفة » وبغداد بعيدة جدًا عن الكوفة ، ثم قوله : « شرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ » كلام مستأنف متعلق بالمنصور بالله أبي جعفر في أول العبارة ، ثم إذا قرأ المحقق كلام ياقوت فيما بعد مفصلاً عن اختيار موقع بغداد وجد أن المنصور نفسه ارتاد موقع بغداد مع بعض حاشيته ، و وضع أول لبنة في أساس هذه المدينة في حفل كبير حضره رجال الدولة والأعيان والعلماء تاليًا آية القرآن الكريم بعد التسمية والحمد : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ .

هذا ما عنّ لي في هذه العجالة ، ومهما كان الأمر فإنه لا يقلل من قيمة هذا الكتاب العظيم النفع وجليل القدر وجهود محققيها الموفقة المفيدة في إخراجه . والله أعلم بالصواب .

إلى رحمة الله تعالى :

## فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

فجعت أسرة ندوة العلماء ومجلة « البعث الإسلامي » بنبأ وفاة العالم الجليل والكاتب القدير فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع الذي وافاه الأجل في اليوم ١٩/من شهر ذي القعدة ١٤١٦هـ - الموافق ٧/من شهر أبريل ١٩٩٦م ، في منزله بالكويت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم أحد أعضاء أسرة عريقة في العلم والتجارة في الكويت ، وكانت له شهرة جميلة في التعامل مع الناس بأخلاق حسنة وروح طيبة ، وكان يتميز بالنشاط العلمي والدراسي بجانب أعماله التجارية ، فقد كانت له دراسات وبحوث في التفسير ، نشر كثير منها في مجلتنا « البعث الإسلامي » التي كان يُعتبر من كتابها البارزين في يوم من الأيام .

كانت له صلة مخلصة بندوة العلماء ورجلها الكبير سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي فكان يعطف دائمًا على المشاريع الإسلامية والتي كانت تتولاها ندوة العلماء ، ولذلك فإن اسهاماته الغالية في ذلك لا تُنسى .

وقد كان عضوًا في المركز الإسلامي بأوكسفورد فيتابع اجتماعات المركز باهتمام بالغ ويجتمع فيها برئيس المركز سماحة العلامة الشيخ الندوي ، يتبادل معه الآراء حول قضايا العالم الإسلامي والأحداث العالمية ، حظيتُ باللقاء معه في الكويت مرات كثيرة ، فكان يحيطني برعايته ويبذل اهتمامه بشئون ندوة العلماء ومجلة «البعث الإسلامي » وكان آخر اللقاء معه في الكويت في عام ١٩٩٠م قبل الغزو العراقي ، ولما تيسر لي الحضور إلى الكويت بعد الغزو في مؤتمر الافراج عن الأسرى ، لم أجده هناك وكان في رحلة استجمامية إلى أوربا حيث يتوافر له العلاج ، وكان ذا علاقة وثيقة بمصر ، نظرًا إلى أسرة له





كانت تقيم في القاهرة ، فيقضى وقتًا لا بأس به في القاهرة ، كل عام .

وله كتابات دعوية وتوجيهية وكتيبات عديدة حول موضوعات إسلامية ، وقد نشرنا له رسالة عن تعدد الزوجات باللغة الأردية والإنجليزية من مكتبة الفردوس في لكناؤ ، نالت إعجابًا كبيرًا من أصحاب العلم والدراسة .

كان موفقًا من الله تعالى إلى بذل اهتماماته بالقضايا الإسلامية ، ونشر الخير والفضيلة في كل مكان ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأكرمه بالجنة والنعيم ، ويلهم أهله وأنجاله وأقاربه وذويه ، وعلى رأسهم شقيقه العزيز سعادة الشيخ عبد الله العلي المطوع - حفظه الله تعالى- بالصبر والسلوة ، ﴿ كل نفس ذائقة الموت • وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ .

وفيما يلي نص رسالة العزاء التي بعثها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى شقيقة سعادة الشيخ عبد الله العلي المطوع :

حضرة الأخ الكريم سعادة الشيخ عبد الله العلي المطوع - حفظه الله تعالى -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ذخرًا للإسلام

وبعد فقد أخبرني الأخ العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي بعد عودته من الكويت بالنبأ الحزين عن وفاة صديقنا الحبيب ، شقيقكم الأكبر فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع القناعي ، في اليوم ١٩/من شهر ذي القعدة ١٤١٦هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد تألمت بهذا الخبر المفاجئ الذي صدم قلبي ، وقد كنت أظن انه لا يزال على قيد الحياة قائمًا بالخير في سبيل الحق ، ومساهما في المشاريع الإسلامية برحابة صدر وإخلاص تام ، فطالما اجتمعنا في المركز الإسلامي بأوكسفورد في اجتماعاته السنوية ، وكان عضوًا مهما فيه ، ولا أنسى ما كان يتمثل في شخصه من العلم والإخلاص والرغبة في إعلاء كلمة

الإسلام ، والاسهام في ذلك بالنفس والنفيس ، جزاه الله عن كل ذلك بأحسن ما يجزي به عباده المؤمنين المخلصين ورفع مكانته إلى أعلى عليين وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا - عظم الله أجركم في فقيدكم الغالي وعزى نفوسكم جميعًا بالصبر الجميل .

أرجو إبلاغ العزاء إلى جميع أنجاله وبناته وأهله وذويه ، وأدعو الله سبحانه أن يحسن عاقبتنا ويجعل آخرتنا خيرًا من الأولى ، ولا تنسونا في صالح دعواتكم .

وتفضلوا بقبول أصدق آيات الحب والإخلاص .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

**أبو الحسن علي الحسني الندوي**

رئيس ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

## البروفيسور النجرامي

## رئيس جديد لأكاديمية أردو الحكومية

قامت حكومة ولاية اترابراديش الهندية بتعيين البروفيسور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية ورئيس جمعية المثقفين المسلمين في الهند كرئيس لأكاديمية أردو الحكومية في ١٩٩٦/٣/١٨م المنصب الذي يساوي بدرجة وزير الدولة .

وقد شغل البروفيسور النجرامي هذا المنصب مرتين في الماضي وقد جاء هذا القرار للمرة الثالثة نظرًا إلى أهميته ونشاطاته في مجال الثقافة والاعلام والأدب .

والبروفيسور النجرامي الحائز على جائزة الدولة التقديرية كاتب إسلامي معروف ، وتصدر مقالاته و تحليلاته الصحفية في صحيفة «الرائد» بانتظام ، ويكتب تعليقات صحفية عن العالم الإسلامي في صحف إسلامية أخرى وله نشاطات في حقل الدعوة الإسلامية في المناطق القروية الهندية .